وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

معركة العقاب دراسة في أسباب الهزيمة والتداعيات (609هـ/1212م)

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ وحضارة العصر الوسيط

إعداد:
-أحمد كرعي
-وليد بورويس

إشراف:
الأستاذ الدكتور: توفيق مزاري
عبد الصمد

السنة الجامعية:1436-1437هـ /2015-2016م

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين وزوجتي

و جميع أفراد عائلتي.

و إلى كل الأحباب و الزملاء.

كرعي أحمد

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين

و جميع أفراد عائلتي.

و إلى كل الأحباب و الزملاء.

وليد بورويس

شكر وعرفان

إنّ أسمى عبارات الحمد و الشكر أرفعها متواضعا لله ربّ العزّة ذي الجلال و الإكرام لما أنعمه عليّ من توفيقٍ و خيرٍ عميم.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى السيد المشرف الأستاذ الدكتور مزاري توفيق عبد الصمد

و كل أساتذة التاريخ لجامعة المدية وجامعة المسيلة

والى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.

أحمد + وليد

قائمة المختصرات

ج : الجزء.

ط : الطبعة.

ع : العصر.

ق : القسم.

دت : بدون تاريخ الطبع.

دط : بدون طبعة.

ص: الصفحة.

م : ميلادي.

هـ : هجري.

ت : توفي.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف ألمرسلين وبعد:

إنّ تاريخ بلاد المغرب والأندلس ملئ بالأحداث المختلفة لاسيّما السّياسية والعسكرية، ذلك أنّ الوجود الإسلامي في أرض الأندلس الذي أستمر ثمانية قرون منذ الفتح الإسلامي لها سنة 92هـ/711م إلى غاية سقوط غرناطة سنة 897 هـ/1492م وطيلة هذه الفترة الطويلة شهدت صراعا مستمرا وعدم الإستقرار بين المسلمين الفاتحين والإسبان النصارى الذين كانوا يرقبون الفرصة السانحة لطرد المسلمين من الأندلس.

ومع إشتداد قوة الممالك الإسبانية النصرانية إزدادت حدّة الصراع فهُدّد الوجود الإسلامي بالأندلس أكثر من مرة وخاصة عندما أُصبغ على الصراع الطابع الديني فنشطت الحملات الإسبانية النصرانية التي حَملت الرّوح الصّليبية خلال القرن 6 هـ/12 م لتحقيق مشروع إسترداد الأندلس وطرد المسلمين منها، وكانت الأندلس في تلك الفترة تتبع بلاد المغرب تحت حُكم سلطة الدولة الموحدية التي ورثت دولة المرابطين، فهي من أعظم الممالك التي نشأت في المنطقة من حيث القوة والإتّساع ومثّلت الأندلس زيادة على أنها كانت مورد إقتصادي هام للدولة فإنها حملت طابع روحي لدى الموحدين فهي إرث الأجيال والدّفاع عن الأندلس بالنسبة لهم من الدّفاع عن المغرب .

وفي مطلع القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر للميلاد تحالفت الممالك الإسبانية النصرانية كلّها بمؤازرة الكنيسة الكاثوليكية بقيادة ملك قشتالة " الفونسو الثامن"في أكبر حلف صليبي حُشِد ضد المسلمين في الأندلس حتى ذلك الوقت، وأمام هذه التطورات الخطيرة لبّى السلطان الموحّدي "محمد النّاصر "نداء الجهاد وعبر إلى الأندلس في جيش جرّار لم يجتمع لغيره من ملوك وسلاطين المغرب، ليصطدم الطرفان في إحدى أضخم المعارك العسكرية التي حصلت في العصر الوسيط وهي "معركة العُقاب" التي حدثت في 15 صفر سنة 609 هـ الموافق ليوم 16 يوليو (تموز) عام 1212م أو كما يسميها الإسبان النصارى "لاس نافاس دي تولوسا"، وكانت كبيرة أكثر من حيث النتائج والتداعيات حيث مُني الجيش الموحدي بهزيمة مريرة .

أدّى إنتصار الإسبان النصارى في الموقعة إلى تفوّقهم السياسي والعسكري في الأندلس، الأمر الذي سوف يكون له آثار وتداعيات خطيرة ليست على الأندلس فحسب بل على المنطقة كلّها .

دواعي إختيار للموضوع:

ويمكن القول أن إختيارنا لهذا الموضوع هو أن الحادثة المدروسة تعد نقطة مهمة في التاريخ الإسلامي ببلاد المغرب والأندلس بالإضافة إلى أن أغلب الدراسات تناولت تاريخ الدولة الموحدية بشكله العام وأهملت الجزئيات خاصّة في الجانب السياسي والعسكري لكونها مثّلت نقطة مفصليّة في تحديد مصير الدولة الموحّدية عامّة والأندلس بشكل خاص.

أهداف الدراسة:

ونحن نهدف من هذه الدراسة الى:

- إبراز أهم حادثة وقعت في القرن 7 هـ/13 م.
- تبيين مساعي الموحدين في بسط نفوذهم ومحاولتهم صد المد النصراني على الأندلس.
- إظهار حالة الأندلس التي آلت إليها بعد الإنهزام المروّع في العُقاب.
- محاولة إثراء الرصيد المكتبي بدراسة مفصّلة عن تلك الحادثة من تاريخ المغرب والأندلس.

إشكالية الموضوع:

ولدراسة هذا الموضوع طرحنا إشكالية رئيسية والتي تتمحور في :

معرفة الأسباب الحقيقية التي أدّت إلى إنهزام الموحّدين في موقعة العُقاب وما مدى إنعكاساتها على المغرب والأندلس.

وقد تفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات هي كالتالي:

- كيف كانت طبيعة الحالة السياسية والعسكرية للدولة الموحدية والممالك الإسبانية النصرانية قبل موقعة العُقاب؟.
- ما مدى إستعداد كل من المعسكر الإسلامي والإسباني النصراني لخوض هذه المعركة ؟ .
- ما هي النتائج المترتبة عن إنهزام الموحدين وإنتصار الإسبان النصارى في العُقاب ؟ .
- هل كانت هناك أسباب يمكن لها أن تكون وراء ذلك الإنهزام المروّع للموحّدين في العُقاب ؟.
- فيما تمثلت تداعيات هذا الإنهزام على المغرب والأندلس ؟

الدراسات السابقة:

حسب إطلاعنا وما وصلت إليه أيدينا حول موضوع بحثنا في "معركة العُقاب دراسة في أسباب الهزيمة والتّداعيات"، فقد وقف الباحث على عدّة كتابات مرتبطة بالموضوع من قريب ومن بعيد تنوّعت بين البحوث العلمية والمقالات .

كان من بين ما أطّلع عليه الباحث، رسالة دكتوراه بعنوان فنُّ الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين لكاتبها خميسي بولعراس، تعد من بين الدراسات القليلة التي تناولت الجانب العسكري في عصري المرابطين والموحدين، وقد استفدنا من هذه الدراسة كثيرا كونها عالجت المعركة بنوع من التحليل الدقيق مع الخروج بأسباب هزيمة الموحدين فيها.

رسالة ماجستير بعنوان هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7هـ/13م) ودورهم الثقافي لـعمارة سيدي محمد، وتُعدُّ من الدراسات القيّمة من حيث المعلومات والموضوع المعالج وقد استفدنا من فصلها الأول وذلك لما تناوله من أحداث خاصة بمعركة العقاب و ذكر التداعيات المترتبة عن إنهزام الموحدين فيها.

رسالة ماجستير بعنوان علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس لـعمر راكة، وهي دراسة شاملة مسّت كل فترات الدولة الموحدية تقريبا من جانب العلاقات السياسية والعسكرية، وما يهمّنا في هذه الدراسة أكثر ويخدم موضوع بحثنا ما تم التطرق إليه في الفصل الأول أوضاع بلاد المغرب والأندلس في العهد الموحدين وكذلك تخصيص جزء من الفصل الثاني حيث تطرق إلى موقعة العقاب ونتائجها ولكن بنوع من الإيجاز .

وتُعد رسالة ماجستير بعنوان سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتّداعيات للباحث صديقي عبد الجبار من أهم الدّراسات التي خدمت موضوعنا، وقد أفادتنا المذكرة لاسيما عندما تحدّث في فصلها الثاني عن عوامل سقوط الدولة الموحدية وجَعل معركة العقاب أحد الأسباب الرئيسية، مع تطرّقه في الفصل الثالث إلى تداعيّات سقوط الدولة الموحدية ومن بينها سقوط الحواضر الأندلسية.

منهج الدراسة:

أمّا المنهج المتّبع في هذه الدراسة فقد كان منهجا وصفيا عن طريق وصف للأحداث السياسية والعرض المفصل للمعركة وكذا المعارك المهمة في الفترة المدروسة، مع إعتمادنا أيضا على المنهج التحليلي الإستنتاجي إذ كان لابد من إستقصاء الحوادث والأسباب وتحليلها للخروج بنتائج دقيقة ووافية.

خطة البحث:

ومحولة منّا لمعالجة الإشكالية والإجابة على التساؤلات إقترحنا خطة مكونة من مقدمة ويليها مدخل وثلاثة مباحث وخاتمة ،ففي المدخل حاولنا أن نبيّن أوضاع بلاد المغرب والأندلس قبل معركة العقاب ثم يليه المبحث الأول الذي عنوناه بمعركة العقاب (609 هـ/1212 م) حاولنا فيه الإحاطة

بكل مجريات المعركة بما في ذلك التحضير للمعركة من الجانبين ،حيث حضي بنوع من التفصيل في ذكر مجريات المعركة وانتهينا فيه بعرض نتائجها .

أما المبحث الثاني فتناول أسباب إنهزام الموحدين في معركة العقاب الذي ذكرنا من خلاله العوامل والأسباب الكامنة التي أدت إلى انكسار الجيش الموحدي وانهزامه بتلك الطريقة المروّعة وفي المقابل ذكرنا العوامل والأسباب التي جعلت الإسبان النصارى يحققون ذلك الانتصار الكبير في العقاب .

وفي ما يخص المبحث الثالث والأخير فذكرنا فيه تداعيات هذه الهزيمة على الدولة الموحدية بالمغرب والأندلس والتي بطبيعة الحال مسّت كل جوانب الدّولة .

وفي الأخير وضعنا لهذه الدراسة خاتمة أدرجنا فيها الإستنتاجات العامة مع محولتنا على الإجابة على الإشكالية الرئيسية للبحث والتساؤلات الفرعية لها،وأتبعنا الخاتمة بمجموعة من الملاحق إقتبسناها من مختلف المراجع وهي متنوعة من رسوم توضيحية وخرائط تخدم الدراسة .

دراسة المصادر و المراجع:

إن طبيعة الموضوع تفرض على الباحث دراسة مادته العلمية التي كانت مرجعيته الأساسية في البحث وذلك لإثرائه وكذلك تبيين مدى مصداقيته التاريخية ،وبالتالي كان من اللازم الإعتماد على ببليوغرافيا متنوعة من مصادر ومراجع لعلنا بها نبلغ ولو جزء من الصواب .

أ – المصادر

- كتاب "المن بالإمامة "لـ"ابن صاحب الصلاة "(ت 594هـ/1198م) وهو مصدر مهم لتاريخ الدولة الموحدية ذلك أن المؤلف شاهد عيان للفترة المدروسة خاصة أنه كان عاملا في البلاط الموحدي ومقربا من الخليفة "أبو يعقوب المنصور" واعتمدنا على الجزء الذي حققه الأستاذ "عبد الهادي التازي"حيث أفادنا كثيرا في دراستنا هذه خاصة فيما يعلق بالثورات الأولى على الموحدين ،كما يذكر بعض المعاهدات التي عقدها الموحدون مع الممالك النصرانية ،حتى أن أغلب المؤرخين الذين جاؤوا بعده نقلوا عنه نصوص تلك المعاهدات كاملة مثل "ابن عذاري "و"ابن القطان"

- كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب"الجزء الخاص بالموحدين و مؤلفه "أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بـ"ابن عذاري" قام بتحقيقه مجموعة من الباحثين ،و يعتبر مصدرا مهما لكثير من الأحداث من أواخر أيام الدولة المرابطية إلى إنهيار الدولة الموحدية ،ذلك أنه كان شاهدا على

هذه الفترة ،كما أنه إطلع على الكثير من المصادر التي هي في عداد المفقودين حاليا ككتب ابن صاحب الصلاة و ابن القطان.

-كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"لـ"عبد الواحد المراكشي"حي سنة (613هـ/1216م) الذي تناول كل تاريخ بلاد المغرب منذ الفتح وحتى أواخر الدولة الموحدية ،هذا مازاد من قيمته التاريخية كونه عاصر الفترة التي نريد دراستها.

- كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"لـ "ابن خلدون" ت(808هـ/1405م) ،حيث يعتبر من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في بحثنا خاصة الجزء الرابع ،السادس والسابع ،وقد أفادنا كثيرا في كل مايتعلق بالأحداث التي شهدتها بلاد المغرب سواء قبل نشوء الدولة الموحدية أو بعد النشأة .

ب- كتب التراجم و السير : وبالنسبة للمصادر المتعلقة بالتراجم و السير فقد إعتمدنا على كتب ابن الأبار القضاعي ت(658هـ/1260م) وأهمها كتاب :- "التكملة لكتاب الصلة" ، "كتاب الحلة السيراء" حيث أفادانا هذان الكتبان في الترجمة لبعض الشخصيات التي عاصرت الدولة الموحدية والتي كان لها الدور الكبير في صنع الأحداث آنذاك ،ذلك أن ابن الأبار كان معاصرا لهذه الفترة و قد خصص لها حيزا كبيرا من كتبه.

- كتب لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ/1291م) وأهمها كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" وأفادنا كثيرا في ترجمة بعض الشخصيات التي كانت لها علاقة بالأحداث في الدولة الموحدية كما استخلصنا منه بعض المعلومات حول علاقة الموحدين مع الممالك النصرانية.

ج- كتب الجغرافيا و الرحلات :

ومن أهمها نذكر:

- كتاب "الروض المعطار في خبر الأقطار ،منتخبة من جزيرة الأندلس"للمؤلف "عبد المنعم الحميري "(ت866هـ/1381م) وقد أفدنا كثيرا في التعريف بالمدن خاصة منها الأندلسية .

2 – المراجع :

فقد تنوعت وأهمها :

- كتاب "دولة الإسلام في الأندلس" لـ"محمد عبد الله عنان" وهو كتاب مفيد جدا في تاريخ المغرب و الأندلس من الفتح وحتى السقوط لكننا اصطغينا منه ما يخص دراستنا حيث يتميز الكتاب بوفرة المعلومات واعتماده على الكثير من المخطوطات و المراجع الإسبانية مما أتاح لنا الحصول على الكثير

من المعلومات التي قلما وجدت عند غيره خاصة في تتبع مجريات معركة العقاب و إبرازه لأهم اسباب هزيمة الموحدين فيها.

- كتاب "الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين" للمستشرق الألماني "يوسف أشباخ" الذي قام بترجمته "محمد عبد الله عنان" حيث أن الكتاب يقع في جزأين يتناول التاريخ العام للمغرب و الأندلس في عهدي المرابطين و الموحدين واعتمدنا نحن في دراستنا هذه على الجزء الثاني كونه يتناول تاريخ الموحدين بشكل مفصل وتتبعه بصفة موضوعية لمجريات معركة العقاب .

- كتاب"سقوط دولة الموحدين"لـ "مراجع عقيلة الغناي" وهو مرجع مهم يتناول الدولة الموحدية منذ النشأة وحتى السقوط ،حيث يتضمن الكثير من الإستنتاجات و الأسباب حول ضعف وانهيار الدولة الموحدية ،فتطرق هذا الكتاب للحروب التي خاضها الموحدون في الأندلس ضد الممالك النصرانية ومنها معركة العقاب.

صعوبات البحث:

و ككل بحث علمي فقد واجهتنا جملة من الصعوبات المتنوعة وهي :

- صعوبة بناء خطة تحيط بالموضوع من جميع جوانبه يراعى فيها التسلسل المنطقي للأفكار لذا إضطررنا إلى إعادة النظر فيها مرات عديدة ويعود ذلك إلى إتساع الموضوع نوعا ما وتداخل عناصره .
- صعوبة حصولنا على الدراسات والرسائل العلمية من المكتبات الجامعية وذلك لمنع إدارة المكتبة من إستعارتها خارج أسوار الجامعة.
- ضيق الوقت وكثرة إرتباطات الباحث المهنية والعائلية والتي حالت دون تكرار السفر إلى الجامعات خارج ولاية المدية إلاّ قليلا.

مدخـــل: نبذة عن الدولة الموحدية

أولا: قيـام دولة المـــوحدين.

ثانيا: أبرز سلاطين الدولة الموحدية.

مدخـــــل :

1 – قيـام دولة المـوحدين:

خلّفت دولة المرابطين في حكم المغرب والأندلس[1]. دولة مغربية مجاهدة أخرى، و هي دولة الموحدين، قامت هذه الدولة الجديدة على أساس دعوة دينية إصلاحية طابعها الجهاد و الاتساع و هدفها تحقيق وحدة إسلامية شاملة، ترأسها خلافة دينية شرعية خاصة بالموحديـن.[2]

ومؤسّس هذه الدولة هو الفقيه أبو عبد الله محمد ابن تومرت[3]، الذي ولد سنة 485هـ/1092 م على وجـه التقريب، في قبيلة مصمودية[4]. صغيرة تسمى ارغان أو هرغان، وكان محمد ابن تومرت رجلا غير عادي الذكاء، ولكن ذكاءه كلّه كان منصرفا إلى السياسة وطلب السّلطان، كما أنّه وضع كل ما حصله من العلم في خدمة طموحه السياسي وهذا الطموح السياسي أيضا مشكلة من المشاكل، فهذا الرجل الذي تصدى لإنشاء كيان سياسي فريد في نوعه هو حركـــة الموحدين ونظمه على طريقة مبكرة تدل على ذهن منهجي مركب وتمكن من أن يُسقط دولة كبرى هي دولة المرابطين ويقيم دولة أكبر منها مكانها، هذا الرجل كان متقشفا زاهدا لا يتمسك بأي مظهر من مظاهر السلطان فقد كان حصورا لا يقرب النساء وهو لم يتزوج ولا أنجب، ولم يجعل نفسه خليفة أو سلطانا

---

[1]– الأندلس : يراد بهذا اللفظ "إسبانيا الإسلامية" إشتقه العرب من كلمة "واندلوس" نسبة الى القبائل القوطية الوندالية ذات الأصول الجرمانية التي إجتاحت جنوب أوربا خلال القرن 5م، في بادئ الأمر كان يعم هذا اللفظ كافة شبه الجزيرة الإيبرية لكن بدأ يتقلص جغرافيا حتى أصبح حاليا يطلق على مقاطعة جنوب إسبانيا .أبو القاسم ابن عبيد ابن خرداذبة : المسالك و الممالك مطبعة بريل، ليدن،1889م، ص ص 80- 90.

[2]– أحمد مختار العبادي : صورة من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس، ط1، الإسكندرية ، 2000م، ص141.

[3]– هو الشيخ الإمام الفقيه الأصولي الزاهد أبو عبد الله محمد ابن عبد الله ابن تومرت البربري المصمودي الهرغي، رحل من السوس الأقصى شابا إلى المشرق فنجح و تفقه وحصل أطرافا من العلم وكان أمارا بالمعروف نهاءا عن المنكر قوي النفس شجاعا، كان فقيرا حشن العيش، كان فحا بعلم الكلام، ألف عقيدة لقبها بالمرشدة فيها توحيد وخير بالخراف فحمل عليها أتباعه وسماهم الموحدين، ونبز من خالف المرشدة بالتجسيم و أباح دمه. انظر : الذهبي (شمس الدين محمد بن احمد عثمان الذهبي ت 748هـ/1374م) : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط1، بيروت، لبنان، 1405هـ/1984م، ج19، ص ص 539-541.

[4]– مصمودة : قبيلة بربرية برنسية و التي تضم عدد لا يحصى من البطون والفروع أهمها هرغة، هرغان، هنتاتة، مزمير، هيلانة هسكورة، سميت مجموع هذه القبائل بالمصامدة حيث إعتصموا بجبل درن في بلاد المغرب الأقصى وعلى عصبيتها قامت الدولة الموحدية .ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ت 808هـ) :كتاب العبر و ديوان المبتدأو الخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م، ج6، ص461.

بل مهّد الطريق لعبد المؤمن بن علي الكومي، لكي يبلغ الرّياسة السّياسية و الدّينية ويتمتع هو وبنوه بالملك وما يتصل به في حين مات ابن تومرت فقيرا رغم الجاه الروحي الذي تمتع به[1].

2- أبرز سلاطين الدولة الموحدية

2-1- عبد المؤمن و التأسيس الفعلي لدولة الموحدين :

وفي سنة 541هـ/1146م بزغ نجم دولة الموحدين و كان عبد المؤمن بن علي الكومي هو أول حكامها و هو كومي، قيسي، مغربي[2]، من قبائل الأمازيغ البربر ولد في مدينة تاجرت بالمغرب قرب تلمسان ونشأ فيها طالبا للعلم ، وأبوه صانع فخار[3]، ويصفه عبد الواحد المراكشي فيقول "وكان أبيض ذا جسم عمم، تعلوه حمرة، شديد سواد الشعر، معتدل القامة وضيء الوجه جهوري الصوت فصيح الألفاظ ،وكان محبّبا إلى النفوس لا يراه أحد إلا أحبّه بديهة"[4].

وقال عنه الزركلي في الأعلام "وكان عاقلا حزما شجاعا موفقا، كثير البذل للأموال، شديد العقاب على الجرم الصغير، عظيم الإهتمام بشؤون الدين، محبا للغزو و الفتوح"[5].

وبعد أن سيطر عبد المؤمن بن علي على مقاليد الأمور في العاصمة مراكش[6]، و أحكم قبضته على المغرب الأقصى، وجه اهتمامه إلى الشرق حيث خرجت الجيوش الموحدية في حملات متتابعة ناحية الشرق حتى وصلت إلى طرابلس في افريقية ، محققة انتصارات عسكرية متوالية، وبذلك نجح الموحدون في تحقيق وحدة سياسية للمغرب الإسلامي، تدار شؤونها من عاصمة الخلافة في مراكش، غير أن خضوع هذه المناطق المترامية لسلطة الخلافة الموحدية في مراكش، انعكست آثاره على حياة المغرب الأقصى و خاصة منذ أن بدأ الصراع بين الموحدين والعرب الهلالية، وفي نفس

---

[1] - عبد الواحد المراكشي (أبو محمد بن علي التميمي ت 647هـ/1249م) : وثائق المرابطين و الموحدين، تحقيق: حسين مؤنس ط1، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد، مصر، 1997، ص 70.

[2]- الذهبي : المصدر السابق، ج20، ص366.

[3]- عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق : محمد سعيد العريان، دط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، الإمارات العربية المتحدة، دت، ص265.

[4]- المصدر نفسه، ص 266.

[5]- خير الدين الزركلي: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ماي 2002م، ج4، ص 170.

[6]- مراكش : أعظم مدينة بالمغرب الأقصى وبها سرير ملك "بني عبد المؤمن " إختطها يوسف ابن تاشفين أمير المرابطين سنة 470هـ/1077م . الحميري(أبو عبد الله محمد ابن عبد المنعم الصنهاجي ت 727هـ/1327م): الروض المعطار في خبر الأقطار منتخبة من صفة جزيرة الأندلس، ط2، دار الخليل، لبنان، 1988م، ص 540.

الوقت لم ينسى الموحدون واجبهم في حماية الأندلس[1]. وذلك حين شرع عبد المؤمن في تجهيز حملة كبيرة لدفع النصارى عن مدن الأندلس في سنة 556هـ/1160م[2]، إلّا أن مرض الخليفة عبد المؤمن حال دون إتمام هذه الحملة حيث أفضى المرض إلى موته في سنة 558هـ/1162م[3]، بعد أن ترك وراءه دولة مترامية الأطراف تمتد من طرابلس المغرب إلى المحيط الأطلسي ومن السّوس الأقصى جنوبا إلى جزيرة الأندلس شمالا[4].

وعن وفاة عبد المؤمن يقول الزركشي" وأدركته منيّته بسلا وتوفي في ليلة الخميس العاشر لجمادى الأخيرة من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودفن بتينمل بجانب المهدي وكانت خلافته ثلاث و ثلاثين عاما و ثمانية أشهر ونصف وخلف ستة عشر ذكرا وبنتين"[5].

2-2- عهد يوسف بن عبد المؤمن بن علي

وتولى خلفا لعبد المؤمن ابن علي ابنه يوسف بن عبد المؤمن حيث بويع برباط الفتح في الليلة التي توفي فيها أبوه عام 558هـ/1162م[6]، وذلك لما يتمتع به من صفات العدل والورع والعلم مما جعله أهلا لتولي منصب الخلافة [7]، وما إن استقر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في عاصمته حتى واجهته ثورة في جبال غمارة بقيادة مرزدغ الصّنهاجي[8]، حيث تبعه خلق كثير ودخل مدينة تازا إلّا أن الخليفة استطاع القضاء على الثورة و قتل زعيمها وحمل رأسه إلى مراكش ثم وجه الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن جُلّ جهوده لدعم السلطة السياسية في الأندلس و قد استنفد منه ذلك كثيرا من الجهد و

---

[1]- حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس، ط1، دار العلوم، مصر، ص ص 44-46.

[2]- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي الفاسي حي سنة 726هـ/1326 م) : الأنيس المطرب بروض القرطاس، تحقيق: الفيلالي دت، ج2، ص 163.

[3]- البيدق (أبو بكر الصنهاجي ت55 هـ/1160 م) : أخبار المهدي و ابتداء دولة الموحدين، نشر ليفي بروفنسال، دط، باريس 1928م، ص 83.

[4]- مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تحقيق :سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دط، دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، 1979م، ص119.

[5]- الزركشي (محمد ابن إبراهيم بن اللؤلؤ) : تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق : محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة تونس، 1966م ، ص13.

[6] - ابن عذارى المراكشي (أبو العباس احمد بن محمد المراكشي حي سنة 712هـ/1312م) : البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406هـ /1985م، ج3، ص83.

[7] - المصدر نفسه، ص83.

[8]- ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي حي سنة 594هـ/1198م) : تاريخ المن بالإمامة، تحقيق : التازي، ط1، بيروت، دت، ص307،308.

الوقت حيث أرسل جيوشا في حملات متتابعة إلى الأندلس، وقد ترأس هذا الخليفة إحدى هذه الحملات سنة 566هـ/1170م ، لضبط ثغورها وإصلاح أحوالها و بعدها عاد إلى المغرب و أخذ في الاستعداد مرة أخرى لغزوة كبرى في الأندلس عام 579هـ/1183م، إلّا أنّ هذه الغزوة لم يكتب لها النّجاح حيث أصيب الخليفة بسهم عند أسوار شنترين[1]، مما دفع بالجنود إلى الرجوع ومعهم الخليفة المصاب حيث قضى نحبه عام 580هـ/1184م[2] بعد أن قضى في الحكم اثنين و عشرين سنة.[3]

2-3- أبو يوسف يعقوب المنصور و العصر الذهبي للدّولة الموحّدية:

بعد وفاة يوسف بن عبد المؤمن تولى مقاليد الحكم خلفا له ابنه يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن[4]، سنة 580هـ/1184م[5]، وكان الخليفة الجديد في نحو الخامسة والعشرين من عمره، وقد بلغت الدولة الموحدية في عهده الذي استمر ما يقارب خمسة عشر سنة أوجّ ازدهارها[6] وتقدمها حيث بدأ الخليفة المنصور عهده بعمل طيّب محمود، فأخرج من بيت المال مائة ألف دينار من الذّهب، فُرّقت بين الأسر الفقيرة في سائر أنحاء المغرب، ثم نشط إلى مطاردة مظاهر الفساد الذي بدا واضحا في الدولة، فأنذر المخالفون بعقاب الموت وقامت الشرطة بمطاردة كل مستهتر، كما عنى الخليفة في نفس الوقت بالعمل على بسط العدل وتأييده وردّ المظالم التي وقعت أيام أبيه ومطاردة الظلم والعمال الظلمة، فاستبشر الناس خيرا بالعهد الجديد[7].

كما قام الخليفة برفع رواتب القضاة و الفقهاء في جميع أقاليم الدولة، وزاد في أجور جند الجيش الموحدي النّظامي وحصّن الحدود في جميع الأماكن التي يخشى عنها، كما نفّذ عدة مشاريع

---

[1]- شنترين : مدينة بالأندلس من كور باجة على مقربة من لشبونة وهي مدينة على جبل عال . الحميري: المرجع السابق ص113،114.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص46،47.

[3]- ابن أبي زرع : المصدر السابق ،ج2، ص193.

[4]- هو أمير المؤمنين عبد الله يعقوب بن عبد المؤمن بن علي لقبه المنصور بفضل الله ، ولد بمراكش سنة 555هـ ،كان آدم معتدل القد ، أكحل الشعر، واسع الأكتاف ،جوادا، شجاعا ،شهما ، محبا للعلم و العلماء و محبا للجهاد بويع البيعة العامة في جمادى الأولى سنة 580هـ/1184م، وتوفي رحمه الله في اليوم الثاني و العشرين لربيع الأول سنة 595هـ بمدينة مراكش ودام حكمه أربعة عشر سنة و أحد عشر شهرا و أربعة أيام. المصدر نفسه، ص 216،217.

[5]- نفسه، ص 216.

[6]- أنظر: الملحق رقم 1 ، ص 82.

[7]- محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، القسم الثاني، عصر الموحدين و انهيار الأندلس الكبرى، ط2 القاهرة، 1411هـ/1990م، ص 142.

خيرية، فأنشأ الكثير من المساجد والمدارس وأنشأ البيمارستانات للمرضى وعنى بتسهيل المواصلات والسفر فأنشأ في الطرق الرئيسية وطرق القوافل أبراجا وأحواضا لخزن الماء وآبارا للاستسقاء وفنادق لنزول المسافرين[1]،وإليه تُسبت الدّنانير اليعقوبية المغربية.[2]

أما في الجانب العسكري فقد كانت له جهود قوية سواء في محاربته للجبهة الداخلية و المتمثلة في صراعه مع بني غانية، أو الجبهة الخارجية والمتمثلة أساسا في جهاده ضد الصليبيين في الأندلس.

– صراعه مع بني غانية :

عرفت الدّولة الموحّدية صراعات وثورات عديدة ، ولعلّ ثورة بني غانية[3] إحدى أكبر و أعنف هذه الثورات، لقد كان بنو غانيّة شوكة ضدّ الموحّدين ، كما كانوا من خيرة المجاهدين ضدّ القوى الصّليبية واشتهروا بالغزو البحري لجنوب فرنسا و قطلونيا ، وساروا على سُنّة أسلافهم المرابطين في العقائد و التزام منهج أهل السُّنة و الدّعوة للخليفة العبّاسي في بغداد ، وهادنوا الموحدين بعض الوقت ، ولـمّا مات الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن و اضطربت أحوال الدولة الموحّدية بعض الشّيء إستغل بنو غانية هذا الإضطراب و أظهروا العصيان و خرجوا عن سيّاسة المهادنة[4]، و استولوا على أسطول موحّدي ضخم عندما كان في زيّارة الجزر الشّرقية ثم خرجوا بأساطيلهم و رجالهم إلى المغرب الأوسط عام 581هـ و تحالف بنو غانية مع قبائل بني سليم و بني هلال و مع المملوكي بقيادة قراقوش[5] و أعلنوا ولائهم للدّولة العبّاسية .

وكان أوّل عمل قام به المنصور هو الشُّروع للقضاء على بني غانية فأرسل العيون و الأعوان إلى المغرب الأوسط وإفريقية وحاول تفكيك التّحالف الثلاثي بين بني غانيّة والقبائل العربية و أتباع قراقوش، وشرع في إرسال الجيوش والحملات، وقد فقد الألوف من جنوده ومن خيرة رجاله واستمرت

---

[1]– يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، ط2 ، القاهرة 1417هـ/1996م ، ج 2 ، ص77.

[2]– اليافعي (أبي محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان ت768هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق : خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، ج3، ص365.

[3]– بنو غانية : ينسبهم المؤرخون إلى أمهم غانية من العائلة المرابطية الحاكمة، امتلكوا جزر البليار شرق الأندلس واستقلوا بها، ثم أنكروا ولائهم للموحدين وقاد أفراد من هذه العائلة ثورات ضد الموحدين . عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص 342.

[4]– علي محمد محمد الصلابي : صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، دط، عمان، الأردن، 1998م، ص168.

[5]– قرقوش : لفظ تركي معناه الطير الجارح و قرقوش الذي يهم الدراسة هو "تقي الدين قرقوش "مملوك لتقي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين الأيوبي وكانت له أطماع في حكم أجزاء من بلاد المغرب بإيعاز من الأيوبيين حكام مصر . مراجع عقيلة الغناي سقوط دولة الموحدين، ط2، منشورات قاريونس، بنغازي ليبيا،2008م ،ص 188.

هذه المعارك سنوات و لكن في النّهاية إستطاع المنصور أن يسحق هذه الثّورة العنيفة و يقبض على زعمائها وقاد العمليات العسكرية بنفسه عام 582هـ واستطاع أن يُوحّد بلاد المغرب كُلَّها غربها و شرقها لقد استطاع المنصور أن يؤمن خط ظهره ويوحد الجبهة الداخلية وأعاد تنظيم البيت المغربي الموحدي من الداخل وأمن حظر القبائل العربية ووظف طاقتها في حربه في الأندلس لقد كان هذا العمل الحاسم القوي في توحيد الجبهة الداخلية سببا من أسباب انتصاره على النصارى في الأندلس وهذا ما يدلُّ على عمق تفكيره الإستراتيجي و بُعد نظره العسكري[1].

– سياسته في الحروب :

تُعتبر فترة حكم أبي يوسف يعقوب المنصور العصر الذّهبي للدّولة الموحّدية ، و الذُّروة التي وصل إليها التطور السياسي في المغرب، نحو التوحيد وإقامة الدولة الموحدية ولقد كان العصر الذّهبي قصيرا لا يتناسب مع دولة ضخمة مترامية الأطراف ، غزيرة الثروة و الموارد مثل دولة الموحدين ،فان خلفاء الموحدين حكموا بلادا تضاهي حكم ما حكمه العباسيُّون في أوجّ قوتهم ، وكان تحت إمارتهم حشود من الجند القوي القادر على كسب المعارك لم يتيسر للكثير من الدول في التاريخ الإسلامي فقد كانت جيوش الموحدين تَعجُّ بحشود من أبناء القبائل المغربية من المصامدة أولا، ثم من بقية الصنهاجيين و الزناتيين ممّن استمالتهم الدّولة الموحّدية بقوّتها و هيبتها ثم أضيفت إلى هؤلاء حشود من العرب الهلاليين الذين انضووا تحت لواء الدولة الكبيرة ولم يخلو الأمر من قوات أندلسية ذات قدرة و مهارة .[2]

ورغم وجود هذه القُوَّات إلّا أنّ هذه القوة العسكرية الموحدية كانت دائما مفككة تنقصها القيادة الحازمة التي تُوجّه الأعمال وفق خطة واحدة مرسومة ، وكان أبو يوسف يعقوب المنصور من زعماء الموحدين القلائل الذين استطاعوا قيادة جيوشهم قيادةً سليمة وكان الرجل في نفسه رجلا حازما موهوبا في شؤون الإدارة و القيادة وكان شديد الإيمان فانتقل إيمانه إلى رجاله وأصبحت جيوش الموحدين في أيّامه قوة ضاربة كبرى [3].

---

[1]– محمد الصلابي : المرجع السابق، ص 169.

[2]– راغب السرجاني : قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة ، 1432هـ/2011م، ج2 ص584،585.

[3]– حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ط8 ، دار الرشاد ، مصر ، 1426هـ/2005م، ص223،224.

– معركـــة الأرك[1](591هـ)

كان عبور الجيش الموحدي للأندلس بقيّادة الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور سنة 586هـ لردّ المعتدين الصليبيين واستعادة مدينة شلب[2] وقام بنشاط عسكري في عدة مناطق إلاّ انه لم يسترد المدينة، ثم عاد من هذا النشاط إلى إشبيلية[3] في ربيع الثاني سنة 587هـ مُتّجها نحو الشمال الغربي و استعاد قصر الفتح (قصر أبي دانس) ثم مدينة شلب [4] ، وعاد بعدها إلى إشبيلية و أنفق مدة يشرف بنفسه على تنظيمات الأندلس المدنية و العسكرية ، توجه إلى مراكش في رمضان من نفس السّنة [5].

وعند وفاة الفونسو السّابع ملك قشتالة 552هـ خلفه ابنه شاجه الثالث في حكم قشتالة وابنه فرانده في حكم ليون ولما توفي شانجه الثالث في العام التالي ورثه ابنه الصغير الذي غدا حاكم قشتالة باسم الفونش (الفونسو الثامن)[6] و لقبوه بالنبيل و جرت بينه وبين الموحدين أحداث في الأندلس عُقِدت بعدها معاهدة بين الطرفين سنة 586هـ ومدتها خمس سنين [7].

حين انتهت الهدنة المعقودة مع الفونسو الثامن ملك قشتالة سنة 590هـ/1194م بدأ هذا الأخير بمهاجمة الأندلس و العيث فيها ، فأعد الموحدون حملة للتوجه إلى الأندلس وتم العبور إليها في

---

[1]– الأرك alarcos بالإسبانية وهو حصن منيع يقع على حدود مملكة قشتالة مع الدولة الإسلامية الموحدية بالأندلس بمقربة من قلعة رباح أول حصون الأذفونش بالأندلس . الحميري :المصدر السابق ،ص 13،14 .

[2] – شلب : تقع على مقربة من شاطئ المحيط الأطلسي ،غربي جنوب باجة وشمال غرب شنتمرية عليها صور حصين .أنظر المصدر نفسه ،ص 107،106.

[3]– إشبيلية : تقع جنوب غرب قرطبة على بعد 138 كلم إتخذها المرابطون والموحدون مركزا لهم في الأندلس وذلك لوفرة المياه بها وخصوبة أرضها ووفرة منتجاتها الزراعية . نفسه ،ص ص18-20.

[4]– محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3 ، ق2 ، ص ص180-189.

[5]– ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت 658هـ) : الحلة السيراء، تحقيق ، حسين مؤنس، ط2 ، دار المعارف ، لبنان، دت، ج2، ص 272.

[6]– ملك قشتالة و يلقب بالنبيل، ورث عرش قشتالة عن أبيه صانشو وعمره لا يتجاوز أربعة عشرة سنة في 1169م، تميز بعدائه للمسلمين ورغبته الجامحة في غزو أراضيهم ودوره الكبير في تنشيط وتنظيم حركة الإسترداد .انظر : عبد الله عنان :المرجع نفسه، ص ص587،588.

[7]– ابن الخطيب (لسان الدين السلماني الغرناطي ت 658هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ط2، القاهرة، 1973، ج1، ص383.

جمادى الثاني سنة 591هـ بقيادة الخليفة الموحدي نفسه متجها إلى إشبيلية العاصمة للقاء جموع الفونسو الثامن [1].

وفي هذا يروي المقري في نفح الطيب " ولما انقضت مدة الهدنة ولم يبقى منها إلا القليل خرج طائفة من الإفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسعوا وعاثوا عيثا فضيعا فانتهى الخبر إلى أبي يوسف يعقوب فتجهّز لقصدهم في جيوش مُوفّرة وعساكر مُكتّبة واحتفل في ذلك و جاز إلى الأندلس سنة 591هـ فعلم به الإفرنج فجمعوا جمعا كثيرا من أقاصي بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه"[2].

ويقول ابن عبد المنعم الحميري في الروض المعطار أنّه لما " بلغ المنصور يعقوب أن صاحب قشتالة شن الغارات على بلاد المسلمين بالأندلس شرقا و غربا في يوم واحد ، و عم ذلك جهة اشبيلية و نواحيها فامتعض من ذلك ثم تحرك من حضرته مراكش إلى الأندلس واستقر بإشبيلية "[3]

لقد انفق الخليفة الموحدي في العاصمة اشبيلية أسبوعين في وضع الخطط المحكمة، ثم رحل إلى قرطبة[4] ومنها صوب قلعة رباح[5].

تَجهّز الفونسو الثامن ملك قشتالة للقاء الجيش الموحدي منذ سمع بعبور الموحدين وطلب العون من ملكي ليون ونباره، وسار مسرعا ونزل في الأرك، نقطة الحدود بين قشتالة[6] ،والأندلس ونزل الخليفة الموحّدي قريبا من المعسكر القشتالي[7]، وكانت جموع القشتاليين كبيرة، اختلفت الروايات في تقديرها و يذكر ابن عميرة الضبي في كتابه بغية الملتمس أن جيش الفونسو الثامن كان " ينيف على خمسة وعشرين ألف فارس ومئتي ألف راجل، وكان معه جماعات من تجار اليهود قد وصلوا لشراء أسرى المسلمين و أعدّوا أموالا، فهزمهم الله تعالى"[8].

---

[1] – عبد الرحمان علي حجي : التاريخ الأندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة، دار القلم، ط2 ، بيروت،1981، ص464.

[2]– المقري (أحمد بن محمد ت 1041هـ) : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : إحسان عباس، بيروت، 1968م ج4، ص381.

[3]– الحميري : المصدر السابق ، ص 150.

[4]– قرطبة : قاعدة بلاد الأندلس وكانت عاصمة البلاد في عهد ملوك بني أمية ،تمتاز بجامعها الشهير تقع شرق إشبيلية على بعد 138 كلم . أنظر :المصدر نفسه ، ص ص 153-158.

[5]– علي حجي : المرجع السابق، ص 465.

[6]– قشتالة : هي كل البلاد الواقعة شمال جبال الشارات و هي أعظم مملكة من بين الممالك المسيحية في الأندلس . أنظر الحميري : المصدر نفسه ،ص 47،48.

[7]– علي حجي : المرجع نفسه ،ص 465.

[8]– الضبي (احمد بن يحي بن احمد بن عميرة ت599هـ) : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دط، دار الكتاب العربي القاهرة 1967، ص45،46.

ويذكر عبد الواحد المراكشي ذلك في كتابه المعجب فيقول : " وكان الاذفنش قد جمع جموعا لم يجتمع له مثلها قط ، فلمّا تراءى الجمعان اشتدّ خوف الموحدين وساءت ظنونهم لما رأوا من كثرة عددهم وأمير المؤمنين في ذلك لا مستند له إلا الدّعاء و الإستعانة بكلّ من يظنُّ عنده خيرا من الصّالحين...فلما كان يوم الأربعاء وهو الثالث من شعبان من سنة 591هـ التقى المسلمون عدوهم..."[1] .

أخذ الموحدون والنّصارى قبيل نشوب المعركة يبعثون بالسّرايا و الفرسان للتجسُّس على معسكر الطرف الآخر فاكتشف الموحّدون سِرّية نصرانيّة على مقربة من معسكرهم فجرّدوا عليها بعض الفرسان وقضوا عليها فورا [2].

استشار الخليفة يعقوب المنصور كبار القادة الموحّدين و الأندلسيين في رسم خُطّة القتال ،ثم اختص أهل الأندلس بمزيد من المشور وقال لهم : إنَّ جميع من استشرته وإن كانوا أُولي بأس و معرفة بالحرب لكنّهم لا يعرفون من قتال الإفرنج ما تعرفونه أنتم لتمرُّسِكم بهم وتمرُّسهم بكم ، فأحالوه في الرأي على القائد ابن صناديد فعوّل المنصور في ذلك على رأيه [3].

ويتلخّص رأي ابن صناديد في تقسيم الجيش إلى قسمين يشمل القسم الأوّل جميع الحشود والجنود من العرب الأندلسيين و المطوّعة و قبائل البربر تحت قيادة حكم كبار القادة فيخوض بهم المعركة و هو يحمل راية الخلافة فيعتقد النصارى أنّه الخليفة و يشمل القسم الثّاني جند الموحدين والعبيد تحت قيادة الخليفة نفسه يقف بهم على أهبة الإستعداد في مكان قريب متواريا عن الأنظار فيدخل المعركة في الوقت المناسب خاصّة إن بدت الهزيمة على المسلمين [4] .

فاعتمد المنصور هذه الخطّة وانصرف إثر ذلك إلى العمل على تنفيذها دون تردُّد ففي يوم السبت الخامس شعبان 591هـ، جلس في قبّته الحمراء الكبرى المُعَدَّة للجهاد ثم دعا بكبير وزرائه الشّيخ أبي يحي بن أبي حفص[5] وقدّمه على الجيش قائدا عاما وعقد له الرّاية الكبرى وعقد الرّايات

---

[1]- عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص 359.

[2]- هشام أبو رميلة : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس، ط1، عمان، الأردن 1984م ص264.

[3]- السلاوي (أحمد بن خالد الناصري ت 1315هـ/1897م) : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دط، الدار البيضاء، 1945، ج2، ص167،168.

[4]- يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج2 ،ص 83،84.

[5]- من قبيلة هنتاتة المصمودية البربرية و يعتبر من أكابر شيوخ الموحدين و مقدميهم و إليه يرجع الفضل في تثبيت دعائم الدولة الموحدية و هو جد الملوك الحفصيين بتونس . السلاوي : المرجع نفسه، ص ص 77-100.

للقادة و أحاط كلّا منهم علما بالمهمّات التي تنتظره، وأمر الشّيخ أبي يحي بالرّحيل والتّقدُّم أمامه إلى جهة العدو فتحرّك بقبيلته هنتاته في الطّليعة و بين يديه القائد ابن صناديد و جيش الأندلس وتبعته بقيّة قطعات الجيش كلُّ قبيلة وعليها قائدها وبقي المنصور في جيش الموحدين و العبيد، سار الجيش نحو حصن الأرك على هذا الترتيب، فنزل الشيخ أبو يحي في السهل المنبسط صحوة يوم الأربعاء الثامن شعبان 591هـ، وأقام القشتاليون معسكرهم على ربوة عالية مجاورة لحصن الأرك ذات مهاد وأحجار كبيرة[1].

قسّم الخليفة الجيش إلى مقدّمة و قلب و جناحين جعل في المقدّمة الأغزاز والمُطَوّعة من حَمَلة الرّماح الطويلة وجعل في القلب القائد العام الشّيخ أبي يحي مع قبيلته هنتاتة و جعل في الميمنة الجند الأندلسي بقيادة ابن صناديد وجعل في الميسرة قبائل زناته والمصامدة والعرب[2].

تقدَّم الموحدون حتى أشرفوا على معسكر النّصارى في سفح التّلِ فنزلوا في البسط الممتد أمام حصن الأرك ثم قام القائد العام الشيخ أبو يحي يحثُّ المسلمين على الصّبر و الثّبات و يسألهم بصوت جهوري أن يستغفروا ويتغافروا فيما بينهم وأن يُخلصوا نيّاتِهم لله تعالى ، ثم قام القاضي ابو علي بن حجّام و ألقى خطبة بليغة تفيض حماسة وبيانا في الحثّ على الجهاد و فضلِه ومكانتِه وقدرِه عند الله، وكان لهذه الحركة آثارها في إنعاش النُّفوس وتنبيه الضّمائر و إذكاء العزائم[3].

ونَشَبت المعركة في التاسع شعبان 591هـ/19 يوليو1195هـ ،فقد قام الفرسان النّصارى بثلاث هجمات متتالية لاختراق صفوف الموحدين وقد تصدّى لهم حملة الرّماح الطويلة حتى أصابوا صدور خيلهم وارتدَّ الفرسان و النصارى مرتين إلى معسكرهم في سفح التّل .[4]

أعاد الفرسان النّصارى تنظيمَ صفوفهم وقرروا الهجوم على القلب لاعتقادهم أنّه القسم الذي يقوده الخليفة الموحدي فاندفعوا نحوه بكل قوة يهاجمون ويقتلون فاستُشهِد القائد العام الشيخ أبو يحي وجماعة من هنتاته والمطوّعة ثم تقدمت قبائل العرب والأغزاز والجند الأندلسي فأحاطوا بالفرسان النصارى حتى أبادوا معظمهم واضطرّ الباقي إلى الفرار نحو محلّتهم في سفح التل.[5]

---

[1]- صالح الاشتر : معركة الأرك 591هـ/1195م، دط ،دار الشروق العربي ،بيروت ،1998م،ص ص 51-57.

[2]- السلاوي : المرجع السابق ،ج 2،ص169 ؛انظر ، يوسف أشباخ: المرجع السابق ،ص335.

[3]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ،ع3 ، ق2 ،ص202،203.

[4]- السلاوي : المرجع نفسه، ص169،170.

[5]- نفسه، ص 170.

وسار المسلمون وراء النصارى إلى سفح التل فاشتبك الطرفان مرة أخرى فحَمَلَت العرب و المطوَّعة و الأغزاز و الرُّماة على النّصارى حتى أفنوهم لذلك سار بعض العرب إلى الخليفة وأخبروه بالنّصر وسار المسلمون وراء النصارى فتمكّنوا من بعضهم ثم أحاطوا بحصن الأرك معتقدين أن ملك قشتالة بداخله لكنه فرّ واقتحم المسلمون الحصن عنوة وأضرموا النيران في أبوابه واستولوا على ما بداخله من الأسلاب و الغنائم[1].

وفي هذا يروي ابن الأثير في كتابه الكامل " التقوا في التاسع شعبان شمالي قرطبة عند قلعة رباح بمكان يعرف بمرج الحديد...فاقتتلوا قتالا شديدا ... فكانت الدَّائرة أوَّلا على المسلمين ثم عادت على الفرنج فانهزموا أقبح هزيمة وانتصر المسلمون عليهم ... وكان عدد من قُتل من الفرنج مائة ألف وستة وأربعين ألفا و أُسِر ثلاثة عشر ألفا وغَنِم المسلمون منهم شيئا عظيما من الخيام مائة ألف وثلاث وأربعون ألفا...ومن الخيل ستة وأربعون ألفا ...ومن البغال مائة ألف ومن الحمير مئة ألف... وكان يعقوب قد نادى في عسكره من غنم شيئا فهو له سوى السّلاح...وأحصى ماحمل إليه منه فكان زيادة على سبعين ألفا لبس وقتل من المسلمين نحو عشرين ألفا"[2].

وتمكّن الموحّدون من استرداد بعض حصون النّصارى مثل ماجون و كاراكويل وقلعة رباح[3] وكلُّها مُدن وقلاع تقع في دائرة تبعد عن الأرك 15 كيلومتر، ويذكر المراكشي أنَّ المنصور دخل في قلعة رباح وقد جلا عنها أهلها فأمر بتحويل كنيستها إلى مسجد وعاد المنصور إلى إشبيليّة ظافرا فدخلها في 27 من شعبان سنة 591هـ وأكمل بناء الجامع الكبير وصومعته[4].

وكان رد فعل النصارى على هزيمة الأرك بأن جمعوا جيوشا أخرى لقتال الموحدين لكن يعقوب المنصور تمكن من هزيمتهم ودحر جيوشهم ففي ذلك يقول ابن الأثير:"أما الفنش فانه لما انهزم حلق رأسه ونكس صليبه و ركب حمارا ة أقسم أن لا يركب فرسا ولا نعلا حتى تنصر النصرانية .... فجمع جموعا عظيمة و بلغ ذلك إلى يعقوب فأرسل إلى المغرب يستنفر الناس من غير إكراه فأتاه من المتطوعة جمع عظيم"[5].

---

[1]- هشام أبو رميلة : المرجع السابق، ص263،264.

[2]- ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن الجزري) : الكامل في التاريخ، دط، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت،1966م، ج12 ص 48.

[3]- قلعة رباح : مدينة بالأندلس من أعمال جيان بين قرطبة و طليطلة وهي مدينة حسنة و لها حصن حصين على نهر آنة ويوم أن حررها المنصور الموحدي كان النصارى قد ملكوها أكثر من 50 عاما. الحميري: المصدر السابق ،ص 163.

[4]- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، دط، الإسكندرية، مصر،2012 م، ص52.

[5]- ابن الأثير: المصدر نفسه، ج12، ص48 .

يظهر من خلال النّص السّابق أنّ الخليفة يعقوب المنصور بدأ يستعدُّ لغزو مملكة قشتالة فاستدعى اليه الحشود و هيّأ الأمر من إجل إرسال الجيوش فلمّا علِم بذلك ملك قشتالة آثر أن يعقد الصُّلح مع الموحدين حتى يتفرَّغ لقتال جاريه ملك ليون وملك نافارا فأرسل رسله الى إشبيلية لكن الخليفة المنصور رفض واستقرَّ رأيه على غزو بلاد الجوف أي منطقة سترامادورة لاسترداد ما انتزعه النّصارى من قواعد وحصون في هذه المنطقة[1].

في منتصف رجب 592هـ/أبريل 1196م خرج الخليفة المنصور من إشبيلية و كانت طليعة الجيوش تتألف من الجند الأندلسي بقيادة أبي عبد الله ابن صناديد فغزا حصن منتا نحش وضَرب الحصار عليه ثم وصل الخليفة ببقية الجيش في اليوم التّالي فعرض النصارى التَّزوُّل عن الحصن مقابل الأمان فوافق الخليفة وكان لهذا الفتح صدى في مسامع النّصارى المجاورين حيث تخلّى أهل مدينة ترجالة عنها دون أن يصل إليهم الموحدون[2].

بعد ذلك عبر المنصور نهر تاجة واستولى على بعض المدن والحصون فانتهز ملك ليون الفونسو التاسع وطلب العون من الموحدين على قتال ملك قشتالة ،فوافق الموحدون على ذلك واشتركوا معه في غزو مملكة قشتالة ثم زحف الموحدون بعد ذلك شرقا صوب مدينة طلبيرة[3] وهم يثخنون تخريبا و قتالا وسبيا فهاجموها لكنهم لم يتمكّنوا منها ثم ساروا شمالا حتى مدينة مكادة فألحقوا بها التخريب و الدّمار ثم نزلوا جنوبا الى طُليطِلة[4] وخرّبوا أحوازها ودمّروا زرعها ثم استعرضوا جيوشهم بظاهرها ولم يتمكّن ملكها من الخروج اليهم لإيقانه بالهزيمة، بعدها قرر الخليفة أن يعود الى إشبيلية لإراحة الجنود الذين قضوا ثلاثة أشهر في هذه الغزوة [5].

حفت الأخطار بملك قشتالة فسعى لعقد صلح أو هدنة مع الخليفة المنصور بأي ثمن لكن الخليفة رفض ذلك و قرر في جمادى الثانية 593هـ/1197م أن يسير بجيوشه من اشبيلية الى قرطبة

---

[1]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ع3 ، ق2 ، ص 269.

[2]- هشام أبو رميلة : المرجع السابق ،ص269.

[3]- طلبيرة : مدينة كبيرة قلعتها أرفع القلاع حصنا ومدينتها أشرف البلاد حسنا و هي بلاد واسعة المساحة كثيرة المنافع بها أسواق و ديار حسنة وفا على نهر تاجة أرجاء كثيرة ومزارعها زاكية و بينها وبين طليطلة سبعون ميلا . الحميري :المصدر السابق، ص 128.

[4]- طليطلة : مدينة تتوسط الأندلس وبما كانت عاصمة القوط قبل الفتح الإسلامي وهي مدين شاهقة العمران كثيرة المياه وافرة الزروع لم يستردها المسلمون أبدا رغم المحاولات الكثيرة أيام المرابطون و الموحدون. المرجع نفسه ،ص ص130-135.

[5]- محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص220.

فقسّم فيها جيشه ورتّبه من أجل الغزو قاصدا طلبيرة، فلمّا عبر الحدود وفدت اليه رسل ملك قشتالة ثانية يعرضون عليها الصُّلح و الهدنة لكنّه أمر بصرف السُّفراء دون مقابلتهم [1].

سار الخليفة يعقوب المنصور نحو مكادة فحاصرها مدة من الزمن ثم علم أنّ ملكا قشتالة وأراغون[2] قد اجتمعا بقوّاتهما في حصن مجريط من أجل قتال الموحدين، فأقلع حينئذ من حصار مكادة و توجه نحو حصن مجريط من أجل لقتال جيوش النصارى لكنهم فرُّوا عندما سمعوا بذلك فسار الخليفة نحو قلعة هنارس ثم وادي الحجارة[3]، ثم عاد إلى إشبيلية ولم يعاود الغزو بعد ذلك حتى وافته المنية[4].

لكن بعد ذلك توسّل إليه ملوك النصارى بشتى الوسائل لكي يجيبهم إلى الصُّلح لكنه رفض مرارا و تكرارا ،وفي الأخير استجاب لمطلبهم وعقد معاهدة صلح مع ملك قشتالة حيث يعلق على هذه المعاهدة أوكلاهان بقوله :"إنّ الخليفة المنصور بموافقته على عقد معاهدة صلح قد قدّم منحة ثمينة لملك قشتالة " لكن السبب الذي جعل المنصور يعقد معاهدة صلح هذه رغم تفوقه العسكري وضعف أعدائه أمامه هو ثورة بني غانية واستفحال أمرهم بافريقية [5].

توفي الخليفة المنصور ليلة الجمعة 22ربيع الثاني595هـ/22يناير1199م وخلفه ابنه محمد الناصر وكان الخليفة المنصور قد أوصى باليتيمة و الأيتام فَسُئل عمّا يقصد فقال اليتيمة هي جزيرة الأندلس والأيتام هم سكّانها المسلمون[6]، لكن الأحداث القادمة سوف تُظهِر مدى التزام الخليفة المنصور بوصية والده حول الأندلس وسكانها المسلمون وبصفة عامة قد ترتّب على موقعة الأرك نتائج آنية تلخّصت في القضاء على قوّات الممالك النصرانية و جعلتها تحتاج إلى عدة سنوات لكي تنهض من كبوتها وتستعيد مكانتها كما جعلت الخوف والفزع يدب في نفوس الممالك الأخرى مما جعلها تحول إلى عقد الصلح و الهدنة ودفع الإتاوات الباهضة.

---

[1]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق،ع3 ،ق2، ص 221.

[2]-أرغون: اسم بلاد غربية بن شانجة تشتمل على بلاد ومنازل و أعمال .الحموي: المصدر السابق، 13.

[3]- وادي الحجارة : هي مدينة بالأندلس و تعرف باسم مدينة الفرج تقع شمال قرطبة بالقرب من طليطلة وهي مدينة حسنة كثيرة الخيرات و الأرزاق جامعة للغلات وها أسوار حصينة و مياه عذبة . المرجع نفسه ،ص193.

[4]- هشام أبو رميلة : المرجع السابق، ص273.

[5] - المرجع نفسه، ص273.

[6]- محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص273.

2-4- عهـــد محمـد النـاصر:

هو أبو عبد الله الناصر محمد بن يعقوب المنصور ،ولد سنة 576هـ للخلافة سنة 586هـ وهو من أم نصرانية تدعى زهر وكان جميل القد أبيض أسيل الخدين في لسانه لثغة ، وكان شجاعا عفيفا عن الدماء[1]، وقد سلك خطة والده في تعيين حُجّابه من الصّقالبة ،واستوزر بعض وزراء والده كما استوزر أخاه إبراهيم بن المنصور ،ولا تَمُدّنا المراجع بمعلومات وافيّة عن حياته الخاصة، إلاّ أنّ تعيينه لابن جامع، الإسباني الأصل كوزير له في أواخر حياته كان له أثره الخطير ليس فقط في ميدان السياسة الداخلية الخاصة للدولة بل حتى على وجود دولة الموحدين نفسها [2].

- أعمـــاله:

لم تكد تمضي بضعة أشهر على توليه الخلافة حتى ظهر ثائر جديد بغمارة يدعى علودان فقضى عليه النّاصر ثم توجه لقمع حركة ابن غانية بافريقية وكان قد ظهر بها ثائر آخر يدعى محمد الركراكي الذي حارب ابن غانية من غير أن يفوز منه بشيء، وتمكن ابن غانية من ضم بلاد الجريد القيروان، صفاقص، قابس، تبسة وطرابلس[3]، واعتقل هذا الأخير عامل الناصر الشيخ أبا زيد ثم دعا للعباسيين وولّى على تونس أخاه الغازي فتحركت جيوش الموحدين بقيادة الناصر ودخلوا افريقية سنة 600هـ واستمر حصار المهدية أربعة أشهر حتى استسلم سير أخو يحي فأكرم الناصر مثواهما ثم عيّن عبد الواحد ابن أبي حفص على افريقية ورجع إلى مراكش بعد أن أنفق في غزوته هذه ما يعادل مائة وعشرين محلاك من الذهب[4].

وعند نزول الناصر بالمغرب الأوسط في طريقه إلى عاصمة مُلكه وجّه أسطولا لفتح ميورقة التي عجز أبوه المنصور عن فتحها وقد وقف أسطول الناصر لإخضاع ميورقة وقتل أميرها عبد الله ابن إسحاق وكان قائد الموحدين في هذه الحملة أبي العلاء عم الناصر ولم تطل ميورقة بيد الموحدين إذ استرجعها النصارى سنة 627هـ.[5]

---

[1]- عبد الواحد المراكشي : المعجب ،ص 175.

[2]- إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، دط ،دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 2000م،ج1،ص 281.

[3]- ابن خلدون : المصدر السابق، ج6 ،ص 332.

[4]- المصدر نفسه، ص333.

[5]- إبراهيم حركات : المرجع نفسه، ج1، ص282.

المبـــحث الأول:

– مجريات معركـة العقــاب (609 هـ /1212 م)

أولا: ظروف معركة العقاب .

ثانيا : أسباب المعركة .

ثالثا : حشد القوات وسيرها إلى المعركة .

رابعا :وقائع المعركة

خامسا :نتائج المعركة .

المبحث الأول : مجريات معركة العُقاب (609 هـ/1212 م) .

لقد شهدت بلاد الأندلس العديد من المعارك الحاسمة والتاريخية في مصير دولة الإسلام في الأندلس، وتعد موقعة العقاب[1]؛ من المعارك التاريخية في مصير الوجود الإسلامي في الأندلس وكانت موقعة العقاب في 15 صفر سنة 609 هـ الموافق ليوم 16 يوليو (تموز) عام 1212 م، بين الموحدين حكام الأندلس والمغرب بقيادة الناصر لدين الله والنصارى بقيادة الفونسو الثامن ملك قشتالة .

وإن كانت معارك مثل وادي لكة، بلاط الشهداء، الزلاقة والأرك سببًا لتدعيم مكانة الدولة الإسلامية وزيادة قوتها، فإنّ معركة العقاب كانت فاتحة الإنهيار الشامل لقواعد الأندلس الكبرى وإنهاء الوجود الإسلامي بها .

أولًا: ظروف معركة العقاب :

1- الظروف السائدة في المغرب والأندلس قبل المعركة :

1-1- الإنتصار الكبير في معركة الأرك .

وكان أبي يعقوب المنصور قد هزم جيوش قشتالة ومن معها من جيوش النصارى في معركة الأرك الخالدة سنة 591 هـ / 1155 م ، حيث قيل أن المنصور تجهَّز لهذه الغزوة نتيجة ما كتب إليه الفونسو يُهدّده ويعنفه ويطلب منه بعض البلاد، ويقول : "وأنت تماطل نفسك وتقدم رِجلًا وتؤخّر أخرى فلا أدري الجبن بطأ بك أو التكذيب بما وعدك نبيك ؟ فلمَّا قرأ الكتاب تنمَّر وغضب ومزَّقه وكتب على رقعة منه : "ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ[2] "، الجواب ما ترى لا ما تسمع ، وكتب ألا المشرفية عندنا ولا رسل إلّا للخميس العرمرم"[3].

ثم أستنفر سائر الناس وحشدهم حتى أحتوى ديوان جيشه على مئة ألف ومن المطوعة مثلهم وعاد إلى الأندلس ، فتمت الملحمة الكبرى ونزل النصر المظفر، وكان نصرا عزيزا، مانجى ألفونش إلّا

---

[1]- معركة العُقاب : هي معركة شهدت انكسار جيوش الدولة الموحدية المروع، هذه المعركة التي يسميها النصارى (لاس نافاس دي تولوسا)، و يسميها المسلمون بمعركة العقاب –بالكسر– أو حصن العقاب . أنظر : عمارة سيدي محمد : هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7هـ/13م) ودورهم الثقافي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف محمد بن معمر، جامعة وهران السانيا ،1433-1434هـ/2012-2013م ، ص20 .

[2]-سورة النمل الأية 37.

[3]- الذهبي : المصر السابق ، ج20 ،ص 214.

في شريذمة، وأُستشهد من كبار المسلمين جماعة، وقيل أنَّ المسلمين قَتَلوا من العدو في معركة الأرك مائة ألف وستة وأربعون ألفا، ومن المسلمين عشرون ألفا ثم غزا وتوغل بحيث انتهى إلى أرض ما وصلت إليها الملوك من قبله، فطلب ألفونش المهادنة فعُقدت عشرا"[1].

وفي رواية أخرى "أنّ عدد القتلى في هذه الغزوة زهاء ثلاثين ألفا عبرة للناظرين وآية للسائلين، وقيل أُستُشهد من المسلمين نحو خمس مئة وأفلت أذفونش اللعين تحت حد السنان ،إجتاز نحو طليطلة لا يعرج على مكان في نحو عشرين فارس قد إتخذوا الليل جملا"[2].

1-2- معاهدة المنصور للقشتاليين .

قبيل مغادرة المنصور إلى إشبيلية، وفدت إليه رسل ملك قشتالة في طلب المهادنة والسلم فرأى المنصور في ضوء هذه التطورات أن يجيبه إلى رغبته بشروط اشترطها، وهو ما وصفها صاحب البيان المغرب بأن التهادن وقع وفق الشريعة الإسلامية[3].

1-3- أخذ البيعة لولده أبي عبد الله محمد الملقب بالناصر .

لما عاد المنصور إلى حضرته بمراكش، في شعبان من سنة(594 هـ/1198 م)، إستقر بها وهو متعب منهوك القوى، من جراء ما أصطلع به من الغزوات والأعمال مدى أربعة أعوام متوالية، وكان أول ما قام به هو أخذه البيعة لابنه محمد الملقب بالناصر وكان قد أختاره لما اشتّد به المرض في سنة 587 هـ فبايعه سائر أشياخ الموحدين، وأخذت له البيعة في سائر القواعد والجهات[4] .

1-4- وفاة المنصور.

يُصوِّر لنا ابن عذاري آخر ما أوصى به المنصور قبل وفاته فيقول"ثم قال رضي الله عنه بعد أن أطرق ساعة وعيناه تذرفان دمعًا، و قال أوصيكم بتقوى الله تعالى، وبالأيتام واليتيمة فقال له الشيخ أبو محمد عبد الواحد، يا سيدنا يا أمير المؤمنين وما الأيتام واليتيمة ، قال اليتيمة جزيرة الأندلس والأيتام سكانها المسلمون، وإياكم والغفلة فيما يصلح بها من تشييد أسوارها ، وحماية ثغورها وتربية أجنادها ، وتوفير رعيتها، لتعلموا أعزكم الله أنّه ليس في نفوسنا أعظم من همها، ونحن الآن قد استودعنا الله وحسن نظركم فيها، فانظروا في أمر المسلمين، وأجروا الشرائع على منهاجها".

---

[1]- الذهبي : المصدر السابق ، ج20 ، ص 215 .

[2]- ابن عذارى :المصدر السابق ،ج3 ،ص 220.

[3]- المصدر نفسه : ص234.

[4]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ،ع3 ،ق2 ،ص 234 .

وقيل توفي رحمه الله ليلة الجمعة الثاني عشر لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة ودُفِن في مجلس سكناه حضرة مراكش ثم نقل منها إلى تنملل[1].

رغم أنّه اختلف في تاريخ مولده ويوم بيعته ووفاته[2]، إلّا أن أغلب الروايات تشير إلى تاريخ وفاته رحمه الله، في العاشر من ذي الحجّة من سنة أربع وتسعين وخمسمائة ،ومجمل عمره إحدى وأربعين سنة وشهرين وأيام ،وخلافته إستمرت أربع عشر سنة و أحد عشر شهرا و أربعة أيام[3].

1-5- العقبات التي واجهت الخليفة الناصر:

أحدثت وفاة أبي يعقوب المنصور سنة 595 هـ/1199 م، حزنا عميقا في الأواسط الإسلامية إلا أنه في الوقت نفسه، حركت وفاته أطماع الطامعين من خصوم دولة الموحدين من جديد.

1-5-1- الثورات التي ظهرت بالدولة الموحدية

لقد كان المنصور قد عزم على مواصلة الجهاد، حتى يقضي على التهديد النصراني على الأندلس نهائيا، لولا أن أستغل هؤلاء انشغاله بالجهاد في الأندلس فنشطوا حركتهم في إفريقية مرة أخرى حتى كان تمردهم هذا من أسباب قبوله بمهادنة النصارى، ولما مات المنصور رحمه الله زاد نشاطهم وتكثف في عهد الخليفة الناصر لدين الله.

- ثورة ابن عبد الكريم الرجراجي

كان عبد الكريم من زعماء الجند الذين امتازوا بالشجاعة والنجدة، أبوه جندي من أهل المهدية، ينتمي إلى قبيلة كومية موحدية، وقد ظهر في مقاتلة الأعراب وغيرهم من العناصر المشاغبة المفسدة، إستطاع في الكثير من المواطن أن يقمع شغبهم وضررهم بمن ألتف حوله من الجند والأنصار فلمّا قوى أمره وظهرت كفايته، قدّمه حاكم المهدية الموحدي لتلك المهمة وأطلق يده في محاربة الخوارج والمعتدين[4].

عندما وُلّيَ الشيخ أبو سعيد بن أبي حفص من قبل الخليفة المنصور على إفريقية، قدَّم على إفريقية أخاه أبو علي يوسف بن أبي حفص[5]، فطالب ابن عبد الكريم أن يُشركه فيما يغنمه من أموال الأعراب المخالفين، فرفض ابن عبد الكريم ذلك الأمر، ممّا أدّى إلى القبض عليه وسَجنه وأهانَه

---

[1]- ابن عذاري : المصدر السابق، ج3، ص 231،232.

[2]- مراجع عقيلة الغناي : المرجع السابق، ص159 .

[3]- ابن عذاري : المصدر نفسه، ص 140.

[4]- ابن خلدون :المصدر السابق، ج6، ص 517 .

[5] - محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ،ع3 ،ق2 ،ص 253.

واستغاث ابن عبد الكريم بوالي إفريقية فلم يسعفه ونتيجة لاشتداد عبث الأعراب بالساحل وكَثُرَت الشكاوى منهم وإلحاح الناس على أن يُطلَق سراح ابن عبد الكريم ، فاضطرّ حاكم المهدية أبا علي أن يفعل ذلك خشية الفتنة، وردَّ إليه منصبه وجنده[1].

لكن ابن عبد الكريم غدر واستولى على المهدية وبسط حكمه عليها وأعلن استقلاله وكان استيلاءه عليها في شهر شعبان سنه 595 هـ ، وكان تمرده في حدود سنة 596 هـ الموافق 1199 م[2] وفشل أبو زيد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن والي إفريقية في إخضاعه، واستبد ابن عبد الكريم بحكم المهدية وتَسمى بالمتوكل على الله، وأستفحل أمره وأنتشر عسكر ابن عبد الكريم في أحواز تونس، وعاثوا فيها نهبا[3]، إلّا انّه استطاع أشياخ من الموحدين أن يُقنعوا ابن عبد الكريم لأن يعود إلى طائفته فوعدهم خيرا ثم عاد إلى المهدية[4].

– ثورة الميورقي :

برز خطر الميورقي على الدولة الموحدية، عندما هزم يحي الميورقي ابن عبد الكريم ، واستولى على المهدية في بداية سنة 597 هـ، وأستغل يحي بن إسحاق الميورقي توقيعه مهادنة وسِلم مع ابن أبي زيد والي إفريقية ليبسط حكمه على سائر إفريقية ماعدا شاطئها الشمالي واستولى على سائر قواعدها طرابلس، قابس، صفاقس، المهدية، القيروان وسائر بلاد الجريد ووصلت دعوته إلى بونة ولم يتبقَّى للموحدين سوى تونس، بجاية وقسنطينة [5].

سار يحي بن إسحاق الميورقي على نهج أسلافه بالدعوة إلى الخليفة العباسي في بغداد واعترف الخليفة العباسي بشرعية حكمه في البلاد، حيث أصبح سيد المغرب الشرقي[6].

فلمَّا ترامت الأنباء بسقوط تونس بيد الميورقي واشتداد عيثه وبطشه بأنحاء إفريقية ، عقد الخليفة الناصر عزمه على محاربته والقضاء على سلطته، وبالفعل سِيرت حملة بحرية ضخمة إنطلقت

---

[1]– المرجع نفسه، ص 253.

[2]– ابن خلدون : المصدر السابق، ج6، ص 517 .

[3]– التيجاني :رحلة التيجاني، دط، المطبعة الرسمية، تونس، 1958م، ص ص 350- 355 ؛ أنظر، عصام سالم بسالم : جزر الأندلس المنسية التاريخ الاسلامي لجزر البليار، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984، ص 388 .

[4]– محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص254.

[5]– توفيق مزاري عبد الصمد : التنظيمات العسكرية المغربية في عهدي المرابطين والموحدين ، دط ، منشورات دار الثقافة حسن الحسني، المدية، الجزائر، 2009 م، ص 229.

[6]– ابن الساعي : الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق: مصطفى جواد، دط، المطبعة الكاثوليكية، بغداد العراق، 1934/1353م، ج9، ص211 .

من سبتة باتجاه مياه إفريقية، وعيّن أبا يحي ابن ابي زكريا الهزرجي قائدا على الحملة، عندما وصلت للميورقي الأخبار بقدوم الجيوش الموحدية انسحب مع فلوله متجها جنوبا ، ولحقته القوات الموحدية وهزمته في موقعة تاجرا[1] في يوم الثاني عشر من ربيع الأول سنة 602 هـ الموافق لـ 17 أكتوبر من سنة 1205 م. ونتيجة لشدة ضربات الموحدين على مدينة المهدية المحاصرة بالمجانيق وكثرة القتلى والجرحى بالمدينة؛ إضطر الغازي حاكم المدينة وأصحابه إلى طلب الأمان وتسليم المدينة بشروط، وسلّمت المدينة للناصر في يوم السابع والعشرون من جمادى الأولى من سنة 602 هـ الموافق لـ 11 يناير 1206م[2] .

استغل يحي الميورقي عودة الناصر إلى المغرب الأقصى سنة 603 هـ فعاد إلى استئناف نشاطه يرتقب الفرص للإنتقام من هزيمته أمام الموحدين ليدخل بعدها في حروب أخرى، حيث انهزم من جديد في معركة قبيشة، إذ فرّ وكان ذلك في سنة (607هـ/1207م) وأستمرّ يحي الميورقي في محاربته للموحدين يسانده فيها قبائل من المرابطين والعرب، حيث دخل مدينة تاهرت ونهبها وخرّبها، ووصل جنود الميورقي إلى أحواز تلمسان ونهبها .[3]

ونتيجة تهديد الميورقي للدولة الموحدية، جهّز الناصر حملة كبيرة وذلك سنة 606هـ وجعل قائد هذه الحملة محمد بن أبي حفص اليقظ الحازم، حيث التقى الجمعان في منطقة جبل نفوسة، ووقعت معركة دامية شديدة على الطرفان، وانهزم الميورقي وحلفائه شر الهزيمة؛ وتمثل معركة جبل نفوسة الضربة القاسمة ليحيى الميورقي[4].

بذلك إستطاع الوالي الموحدي القضاء على مقاومة الأعراب وبني غانية ويحي الميورقي وأحلافهم في إفريقية ، وقد أضعفت هذه الحركات الدولة الموحدية كثيرا[5].

---

[1]- و يرى ابن عذارى أنها قد وقعت بأقطار قابس. ابن عذاري : المصدر السابق، ج3، ص221 ،

[2]- توفيق مزاري عبد الصمد : المرجع السابق، ص 230 ؛ أنظر، محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ع3 ،ق2 ، ص 267 .

[3]- محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه ،ص268.

[4]- ابن خلدون : المصدر السابق ،ج6 ،ص279

[5]- عبد الفتح متحلة الغنيمي : موسوعة المغرب العربي، ط1، مكتبة مديولي، 1994م، القاهرة، ص238 .

– ثورة عبد الرحيم بن عبد الرحمان :

ظهرت هذه الثورة في منطقة السوس سنة 598 هـ[1] وصاحب هذه الثورة من أصل أندلسي؛ ينتمي إلى قبيلة جزولة، وكان هذا الداعي يسمى بأبي قصبة من طبقة العلماء بالأندلس ،وكان قد حضر ذات يوم مجلس الخليفة يعقوب المنصور وبدرت منه بعض أقوال جدلية خشي عاقبتها فاختفى حينا. ثم ظهر بعد وفاة المنصور في السوس في منازل جزولة، وأنتحل الإمامة وأدعى أنه القطحاني؛ الذي ورد ذكره في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا تقوم الساعة، حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه"[2].

ذاعت دعوة أبي قصبة في أرجاء بلاد السوس، وألتفّت حوله جموع غفيرة، فبُعِثت إليه عدة حملات صغيرة متوالية لكنّه هزمها تباعا[3] إلى أن قرّر الناصر: أن يجهّز لقتاله حملة كبيرة من الموحدين والغزّ وبعض أصناف المقاتلين الممتازين وثار في الوقت نفسه قبائل المصامدة بالسوس ضد هذا الثائر[4] وقبل أن تصل حملة الناصر إلى أبي قصبة نُفِض منه معظم جموعه، وهُزم وقُتل منهم من وقف معه وقُبِض على الداعي وقُتل، وكان مصرع أبي قصبة نهاية هذه الثورة وقد كانت هذه الأحداث في سنة 598 هـ الموافق لسنة 1202 م[5].

1-5-2- فتح ميورقة .

انشغل محمد الناصر عند استلامه حكم الموحدين بثورة بني غانية في إفريقية، ورأى الخليفة الناصر أن استقرار الموحدين في إفريقية لن يستتب إلّا إذا استولى على الجزائر الشرقية؛ قاعدة بني غانية ومصدر المتاعب التي يواجهها الموحدين[6]، فصمّم النّاصر على بسط نفوذه في تلك الجزر مصدر القلق المستمر للموحدين، فشرع محمد الناصر بتوجيه حملة بحرية كبرى إلى الجزائر الشرقية، كان

---

[1]- ابن عذاري : المصدر السابق ،ج3 ،ص 215 .

[2]- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر،ط1، دار طوق النجاة،1422هـ، الصفحة أو الرقم: 3517.

[3]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ع3 ،ق2 ،ص 267 .

[4]- مراجع عقيلة الغناي : المرجع السابق ،ص238 .

[5]- ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6، ص ص 246-250.

[6]- أنظر: الملحق رقم 02، ص83.

قد أعدّها لهذا الغرض وأسند قيادة الأسطول إلى عمه أبي العلاء إدريس بن يوسف ابن عبد المؤمن الناصر، كما أسند قيادة الجيش إلى شيخ الموحدين أبي سعيد عثمان ابن حفص[1].

كانت الحملة الموحدية لفتح ميورقة بقيادة الخليفة الناصر نفسه[2]؛ حيث خرجت الحملة البرية البحرية للقضاء على عبد الله بن إسحاق ابن غانية التي احتشدت في ثغر دانية، وأقلعت إلى جزيرة يابسة ومنها انطلقت نحو ميورقة في 24 ذي الحجة سنة 599 هـ، الموافقة لـ: 3 ديسمبر 1203 م[3] فاستولوا عليها وقبضوا على عاملها ابن نجاح[4]، ثم توجهت الحملة الضخمة إلى منورقة وبعد سبعة أيام من القتال سقطت منورقة في يد الموحدين. وقتل عبد الله بن إسحاق إبن غانية[5]، ودخلوا المدينة وكان فتح ميورقة في شهر ربيع الأول سنة ستمائة الموافق لشهر ديسمبر 1203م، وزال بذلك حكم بني غانية عن الجزائر الشرقية وخضعت لحكم الموحدين[6].

بهذا انشغل الخليفة الموحدي محمد الناصر منذ ارتقائه العرش سنة 595 هـ بحوادث إفريقية واستيلاء بني غانية على قواعدها وثغورها، وعمِل على تحريرها، ولم يستطع خلال تلك الفترة التي استطالت أن يُعنى بشيء من شؤون الأندلس الجوهرية أو يعير إليها بنفسه. وحتى اهتمامه بافتتاح الجزائر الشرقية لم يكن سوى نتيجة مباشرة لصراعه مع بني غانية في إفريقية.

1-6- أوضاع الممالك النصرانية بالأندلس :

إتسمت العلاقة بين الممالك النصرانية في الأندلس بالاضطراب والحرب أحيانا، وبالاتحاد والسّلم أحيانا أخرى، حيث حدث اتحاد بين مملكة أراجون مع مملكة قشتالة؛ وهم أكبر وأقوى ممالك إسبانيا النصرانية، وتعهدا ملك أراجون بيدرو الثاني و ملك قشتالة الفونسو الثامن محاربة نافارا وليون المملكتين النصرانيتين وكذا حلفائهم من الموحدين، وشهر الملكان القشتالي والأراجوني الحرب على مملكة نافارا ثم مملكة ليون .

---

[1]- عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص 394،395 ؛ أنظر، ابن خلدون : المصدر السابق،ج2، ص516 ؛ الصلابي : المرجع السابق، ص 199،200.

[2]- ابن أبي دينار(أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني) : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، دط ،تونس، 1967/1387م، ص 119 .

[3]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص259 ؛أنظر، عصام سالم يسالم : المرجع السابق، ص 397 .

[4]- ابن عذاري : المصدر السابق، ج3، ص 216 .

[5]- ابن ابي زرع : المصدر السابق، ج2، ص 153 ؛ أنظر، توفيق مزاري عبد الصمد : المرجع السابق، ص 230.

[6]- ابن عذاري : المصدر نفسه، ص216 ؛أنظر، عصام سالم يسالم : المرجع نفسه، ص397 .

نتيجة تحالف قشتالة وأراجون على مملكة نافارا اتصل ملكها سانشو الملقب بالقوي بالموحدين وعبر إلى مراكش مستنجدا بهم، حيث استقبله الملك الموحدي الناصر أواخر يناير 1199م بمنتهى الحفاوة والتكريم .

وقد أثار لجوء ملك ليون ونافارا إلى الموحدين صدى سيئا لدى النصارى الإسبان، وهدّد البابا الملكين بصدور قرار ينفيهما من الكنيسة إذا استمرا في استنجادهما وتعاونهما مع الموحدين[1].

كان الفونسو الثامن يشعر بأن مهمته الأساسية هي أن يتفرغ لمقارعة الموحدين وفتوح الإسترداد، وأن يبذل كل ما في وسعه لجمع كلمة ملوك النصارى في شبه الجزيرة للتعاون في تحقيق هذه المهمة الكبرى، وقد وُفّق الفونسو في سعيه وذلك أنه كانت تربطه بملك أراجون بيدرو الثاني أواصل التحالف الوثيق، ثم زاره سانشو السابع الملقب بالقوي ملك نافارا في وادي الحجارة سنة 1207م، وتم التفاهم بين الخصمين القديمين وعُقدت بينهما الهدنة والتّحالف لمدة خمسة أعوام .

كذلك توعّد ملك قشتالة بتوسطه لدى بيدرو الثاني لكي يعقد مثل هذه الهدنة مع الملك سانشو، وفي نفس الوقت عقد السلم بين ملكي قشتالة وليون على سبق ما تم في مؤتمر وادي الحجارة وأخيرا تم التفاهم بين الفونسو الثامن وسانشو ملك البرتغال وتم توثيق التحالف بينهما بزواج الملكة أوراكا القشتالية بالفونسو وليُّ عهد البرتغال[2].

كان للبابا دور كبير في هذا. حيث عمل على تقريب ملوك النصرانية المتنافرة في الأندلس من خلال إرسال البابا رسالة الى مملكة نافارا، وكانت قد وقّعت هذه الأخيرة معاهدةً مع المنصور الموحدي قبل وفاته، يحثُّها على نبذ هذه المعاهدة التي تمت مع الموحدين وعلى استعادة العلاقة مع القشتاليين .

لقد إختلف القشتاليون مع مملكة ليون ونافارا بعد هزيمة الأرك. لكن البابا يريد منهم التوحيد في مواجهة الموحدين، فخاطب ملك نافارا بنقض عهده مع الموحدين ومحالفة ملك قشتالة، فما كان له إلّا أن أبدى السمع والطاعة، وهكذا اجتمعت الممالك الإسبانية النصرانية كلها في جبهة واحدة تحت رعاية ملك قشتالة الفونسو الثامن[3].

---

[1]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص604 .

[2]- المرجع نفسه، ص 589 ، 590 .

[3]- ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 264 .

ثانيا– أسباب المعركة :

لقد كانت معركة الأرك (509 هـ/1193 م) من المعارك الخالدة التي تركت آثارا عميقة في نفوس النصارى؛ نتيجة الهزيمة الساحقة والمريرة التي تكبدوها، لاسيما ملك قشتالة الفونسو الثامن الذي أخذ يعد العدة للإنتقام[1].

استغل الفونسو الثامن وفاة يعقوب المنصور سنة 595هـ وانشغال ابنه محمد الناصر من بعده بحوادث إفريقية والمغرب عن سير الحوادث في الأندلس[2].

فبدأ الفونسو الثامن بالإستعداد لمواجهة الموحدين، فقام بتوثيق عهوده مع ملكي نافارا وأراغون وحصل على وعدٍ بتأييده وإمداده بالجند في حالة الخطر لمواجهة المسلمين، وعزم بمحو وصمة هزيمة الأرك، بإحراز نصر على الموحدين. وبعد أن حصّن قلعة مورا الواقعة على الحدود مع المسلمين تحصينا قويا سنة 1209 م[3]، وقبل أن تنقضي مدة الهدنة التي كان قد عقدها مع الموحدين في أيّام المنصور[4]، بدأ الفونسوا الثامن سنة 606هـ الموافق لسنة 1209م بمهاجمة الأراضي الإسلامية بالأندلس[5]، فقام بغارات مدمرة في منطقة جيان[6] و بياسة[7] و أندوجر، ووصل إلى أحواز مرسيه، فقتل وسبى وأسر ودمّر وأحرق الزرع والحقول، ثم عاد إلى طليطلة عاصمة مملكته مثقّلا بالغنائم وكان ذلك سنتي (1209- 1210م)[8]، ولم يبدي أي التفاف أو إصغاء لاحتجاج رسل الخليفة الموحدي على هذا الخرق لنصوص الهدنة المعقودة[9].

---

[1]– توفيق مزاري عبد الصمد : المرجع السابق، ص228 .

[2]– محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص 283 .

[3]– يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج2، ص 108 .

[4]– ابن عذاري : المصدر نفسه ، ص 202 .

[5]– نفسه، ص235 .

[6]– جيان : مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلا وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل وها زائد على ثلاثة آلاف قرية .الحميري : المصدر السابق ، 70.

[7]– بياسة : بينها وبين جيان عشرون ميلا مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحوها زراعات كثيرة . المصدر نفسه ،ص57.

[8]– يوسف أشباخ : المرجع السابق، ص 107 ؛ أنظر، محمد منير الجمباز : معارك إسلامية خالدة من بدر حتى خروزي، ط2 مكتبة التوبة، الرياض السعودية، 200/1428 م، ص 145 .

[9]– علي حجي : المرجع السابق، ص491 .

كما عاونه بيدرو الثاني ملك أراغون في الإغارة على أرض الإسلام في الأندلس؛ الذي قام هو الآخر بغارات مدمرة على أراضي بلنسية [1]، والذي عاث فسادا بها واستولى على عدة قلاع في المنطقة الشمالية في تلك المنطقة[2].

نتيجة إعتداء النصارى المتكرر على بلاد الإسلام وحرق الفونسو الثامن للهدنة وإستنجاد أهل الأندلس بالناصر بأن يسعفهم ويصد غزوات النصارى المدمرة على بلادهم[3]، قرر الناصر الاستجابة لداعي الجهاد؛ وأخذ بالفعل بالإستعداد ونفذت كتبه إلى سائر أنحاء المغرب وإفريقية وبلاد القبلة باستنفار الناس إلى الجهاد [4].

ثالثا : حشد القوات وسيرها إلى المعركة[5] .

1- الجيوش الموحدية

أعلن النّاصر الجهاد والغزو ضد النصارى المعتدين في الأندلس[6]، وأخذ بالإستعداد وقد نفذت كتبه إلى سائر أنحاء المغرب وإفريقية وبلاد القبلة باستنفار الناس إلى الجهاد فاستجابت سائر الجهات والقبائل إلى الدعوة، وكتب الخليفة الناصر إلى ولاة إشبيلية وقرطبة بوجوب تجديد حشد الجند وإعداد المؤن وتمهيد السبل في جميع المناطق بما يلزم من العتاد والسلاح والكسى والمؤن، وقام الناصر بحشد السّفن من سائر أنحاء البلاد لعبور الجيوش الموحّدية إلى الأندلس وأستمرَّ عبور سفنه بضعة أسابيع .وركب الناصر البحر باتجاه الأندلس يوم الاثنين أول شهر ذي الحجة من سنة 607 هـ الموافقة للعاشر من مايو سنة 1211 م[7]، ونزل بجزيرة طريف وأقام بها ثلاثة أيام، ثم سار بجيوشه الجرارة إلى إشبيلية فوصلها يوم الإثنين منتصف ذي الحجة من سنة 607 هـ الموافق لأواخر مايو من سنة 1211 م وتم استقرار الجيوش الموحدية بالحاضرة الأندلسية[8] .

---

[1]- بلنسية : من أهم قواعد شرق الأندلس قريبة نوعا ما من قرطبة و هي مدينة سهلية قريبة من الشاطئ كثيرة التجارات لها بساتين وجنات و لأهلها حسن الزي وكرم الطباع . الحميري : المصدر السابق، ص48،47.

[2]- ابن عذاري : المصدر السابق، ج3، ص234 ؛أنظر، محمد عبد الله عنان : المرجع السابق،ع3، ق2، ص275 ؛ الصلابي المرجع السابق، ص203.

[3]- محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص274 ؛ أنظر، علي الحجي : المرجع نفسه، ص491.

[4]- ابن عذاري : المصدر نفسه، ص 236،235 ؛ أنظر، محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص275 .

[5] - أنظر: الملحق رقم 03، ص84.

[6]- ابن خلدون : المصدر السابق، ج6، ص249 .

[7]- ابن عذاري : المصدر السابق، ص 236،235 ؛ أنظر، ابن خلدون : المصدر السابق، ص 249 .

[8]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق،ع3، ق2، ص 287 ؛ أنظر، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 108 .

يعلق صاحب الرّوض القرطاس بعبور الناصر إلى الأندلس في قوله : "واهتزت جميع بلاد الروم بجوازه ، ووقع خوفه في قلوب ملوكهم وأخذوا بتحصين بلادهم، وإخلاء ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم، وكتب إليه أكثر أمرائهم يسألون سلامته ويطلبون منه عفوه"[1].

لما استكمل الناصر في إشبيلية من حشد الجند واستكمال الإمداد من سائر الجهات وأصبحت الجيوش الموحدية في حالة تعبئة كاملة ،شرع الناصر في الحركة فخرج من إشبيلية بجيوش من الموحدين والعرب وأهل الأندلس والأغزاز وغيرهم من طوائف الجند وكان خروجه من حاضرة الأندلس في الأيام الأولى من سنة 608 هـ، الموافقة لأواخر يوليو سنة 1211 م، وسار جنوبي الوادي متّجها نحو قرطبة ثم سار منها إلى جيان و بياسة[2] ، ثم سار شمالا نحو قلعة شلبيطرة[3]، تقع هذه القلعة على مقربة من جبال الشارات وكانت من أكبر وأمنع قلاع تلك الناحية .

وقد أختار الناصر فتح قلعة شلبيطرة، لقيام هذه الأخيرة في قلب الإسلام، وكون أن النصرانية قد جعلته جناحا لها للإغارة على البلاد الإسلامية[4] .

حاصر الموحدين قلعة شلبيطرة المنيعة، طوال الصيف حتى دخل عليهم الشتاء ودام الحصار للقلعة حوالي ثمانية أشهر، وضرب الموحدون هذه القلعة بالمجانيق الهائلة وبالحجارة الضخمة والنبال والسهام، حتى اضطر النصارى تحت ضربات الموحدين الموجعة إلى تسليم القلعة للموحدين مقابل سلامة الحامية النصرانية التي بها [5]، وفتح الموحدون شلبيطرة في أواخر ربيع الأول من سنة 608 هـ الموافق لأواخر أغسطس من سنة 1211 م[6].

بعد فتح قلعة شلبيطرة رجع الناصر إلى إشبيلية ، وفي هذا يقول صاحب الروض المعطار أن الناصر بعد أن فتح القلعة المذكورة ، "رجع إلى إشبيلية ظافرا غانما"[7]، وفي نفس الحادثة يقول المراكشي وهو مؤرخ معاصر للأحداث "أنه بعد رجوع أمير المؤمنين أبي عبد الله من الفتح المتقدم

---

[1]- ابن ابي زرع : المصدر السابق، ج2، ص155 .

[2]- المرجع نفسه، ص 156 ؛أنظر، محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص276 ؛ الصلابي : المرجع السابق، ص203 .

[3]- شلبيطرة او سلفتيرة بالإسبانية، من حصون بلاد الأندلس ومن أعمال قلعة رباح، أنظر: الحميري :المصدر السابق، 106.

[4]- ابن عذاري : المصدر نفسه ، ص 238، 239.

[5]- ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص236 ؛أنظر، السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص221 ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ج2، ص 204.

[6]- الحميري : المصدر السابق، ص 157. أما ابن عذارى يرى أن فتح قلعة شلبيطرة كان في شهر ربيع الآخر من سنة 608 هـ . أنظر، ابن عذاري : المصدر السابق، ص238 .

[7]- الحميري : المصدر نفسه، ص 138 .

الذكر إلى إشبيلية استنفر الناس، من أقاصي البلاد، فاجتمعت له جموع كثيفة"[1]، ومما سبق يتضح لنا أن فتح الناصر لقلعة شلبيطرة سنة 608 هـ، كانت سوى غزوة مستقلة إقتصرت على فتح هذه القلعة المنيعة .

خرج الناصر في جيوشه، من إشبيلية في العشرين من محرم من سنة 608 هـ الموافق لـ :23 يونيو سنة 1212 م، متّجها نحو جيان، قاصدا لقاء النصارى[2]، وأستقر الناصر بجيان عدة أيام منتظرًا عبور النهر، ووقف على ما وقع من الأحداث على حدوث دولته من سقوط قلعة رباح، وما حدث من إنشقاق داخل معسكر النصارى[3].

كان الفونسو الثامن ملك قشتالة و قائد جيوش النصارى قد إستطاع أن يستولي على قلعة رباح؛ وهي أكبر وأمنع القواعد الإسلامية في تلك الناحيةالتي هاجمتها القوات النصرانية وضربت عليها الحصار في 30 يونيو من سنة 1212 م ، ودافعت الحامية الإسلامية ببسالة عن القلعة إلّا أن قائدها الأندلسي الكبير ابن قادس أقام معاهدة مع النصارى تفضي تسليم القلعة للنصارى مقابل ضمان خروج الحامية الإسلامية منها بسلام ، وفعلا حصل ذلك وأنقض ابن قادس أرواح المسلمين[4].

أحدث افتتاح قلعة رباح من طرف النصارى حدوث التنابذ والخلاف بين القشتاليين وحلفائهم الوافدين وذلك أن الوافدين الصليبيين رأوا في إفلات المسلمين من القلعة أحياءًا عملا لا مبرر له ولا يتفق مع أغراض الحرب الصليبية، فأدى ذلك إلى رجوع الكثير منهم إلى بلادهم ، وبلغ من غادر المعسكر القشتالي زهاء خمسين ألف مقاتل وبذلك أصبح جيش المسلمين بعد هذا الانسحاب أكثر بكثير من جيش النصارى[5].ويقول المراكشي عن سقوط القلعة "فَسَلِم إليه المسلمون الذين بها بعد أن أمَّنهم على أنفسهم فرجع على الأدفنش لعنه الله بهذا السبب من الروم جموع كثيرة، حيث منعهم من قتل المسلمين، الذين كانوا بالقلعة المذكورة، وقالوا إنما جئت لتفتح بنا البلاد وتمنعنا من الغزو وقتل المسلمين مالنا في صحبتك من حاجة على هذا الوجه"[6].

---

[1]- عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص 182 .

[2]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص292.

[3]- السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص229 .

[4]- يوسف أشباخ : المرجع نفسه، ج2، ص 362 ،363.

[5]- يوسف أشباخ : المرجع السابق، ص 362، 363.

[6]- عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص401 ؛ أنظر، السلاوي : المصدر السابق،ج2، ص222.

وعلى كل حال لمَّا حدث ما حدث من تسليم القلعة للنصارى حقنًا لدماء المسلمين، ذهب حاكم قلعة رباح ابن قادس إلى الناصر في جيان هو وصهره ونَفرٌ من أصحابه ليقص أمره على الخليفة فمنعه الوزير أبي سعيد ابن جامع عن ذلك، وصوره للخليفة أسوأ تصوير و اتَّهمه بالخيانة وبتسليم القلعة للنصارى، فأمر الناصر بإعدامه هو وصهره دون أن يستمع إليه أو يستوضح أمره فأُعدِما طعنا بالرماح[1].

كان لمصرع هذا القائد الأندلسي الشجاع وقع عميق في الجيش الموحدي وخاصة بين الجند الأندلسيين، وهي خسارة كبيرة بفقد هذا القائد الشجاع وكذا على القوات الأندلسية التي شعرت أنه هناك فارقا بينهم[2].

واصل الجيش الموحدي سيره للقاء العدو، وكانت الجيوش الموحدية، قد قُسّمت إلى وحداتها العنصرية والقبلية، فكانت خمسة أقسام، يتكون القسم الأول من طوائف العرب والقسم الثاني من الطوائف المغربية مثل صنهاجة وزناتة ، والمصامدة وغمارة وغيرها والقسم الثالث من الجنود المتطوعة، والقسم الرابع من جند الموحدين النظامية، والقسم الخامس والأخير من جنود الأندلس[3].

أمّا عن عدد جيوش الموحّدين التي كان يقودها الناصر، فقد بولغ في الرواية الإسلامية بشكل كبير في أعدادها، حيث يقول صاحب الروض القرطاس : "إن الناصر قد خرج في جيوش لا تحصى وأمم كالجراد المنتشر قد ملأت السهل والوعر وضاق بهم المتسع والنجد والغور ..."، ثم يقدم لنا أرقام لعدد قوات الناصر، أنّ عدد المتطوعة بلغ مئة وستين ألف مقاتل بين فارس وراجل، وبلغ عدد الرجالة المحشودين ثلاثمائة ألف راجل، وبلغ عدد العبيد الذين يمشون بين يدي الخليفة بالحراب ويدورون حوله ثلاثون ألف عبد، ومن الرّماة والأغزاز عشرة ألاف مقاتل، ذلك كله دون المرتزقة من الموحدين وزناتة والعرب وغيرهم، وبذلك نجد أن عدد جيوش الموحدين بلغت خمسمائة ألف مقاتل غير المرتزقة[4] بينما نجد رواية أخرى أن الجيوش الموحدية، كانت تضم زهاء ستمائة ألف مقاتل[5].

---

[1]- ابن ابي زرع : المصدر السابق، ج2 ،ص 232 ؛ أنظر، ابن خلدون : المصدر السابق، ج6، ص249 ؛راغب السرجاني المرجع السابق، ج2، ص612 .

[2] - السلاوي : المصدر نفسه ، ص229 ؛ أنظر، راغب السرجاني : المرجع نفسه، ص613 .

[3]- الصلابي : المرجع السابق، ص203 ؛ أنظر، محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص 301،300 .

[4]- ابن أبي زرع : المصدر السابق،ج2، ص ص 155-160 ؛أنظر ،السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص220.

[5]- المقري :المصدر السابق، ج2، ص538 ؛ أنظر، محمد منير الجمباز: المرجع السابق، ص 145 .

أمام هذه الروايات التى تصوّر لنا الجموع الكبيرة للمقاتلين في الجيوش الموحدية نجد أنّ هذه الأعداد لا يمكن أن يتقبلها العقل، إذ كان من المستحيل أن يتكفل بهم ماديا مثل ذلك الجيش الضخم، خصوصا في مثل تلك المنطقة الوعرة التي كان الجيش الموحدي يخترقها، والمعقول أن الجيش الموحدي كان يضم بمختلف وحداته مائتي ألف مقاتل[1].

إخترقت الجيوش الموحّدية الجزارة نهر الوادي الكبير متجهة صوب بياسة وأبذة[2]، ثم نزلت الجيوش الموحدية عبر ممر لوسا الوعر في بسيط والذي يسمى بالمرشة وأعتزم الخليفة أن يصمد في هذا المكان للقاء النصارى[3].

2- الجيوش النصرانية

لمّا عبر الناصر بجيوشه الجزارة إلى الأندلس، في شهر ذي الحجة من سنة 607 هـ الموافق لشهر مايو سنة 1211 م[4]، كانت لها وقعة كبيرة بل أنّ بلاد الروم كلّها اهتزت لذلك الحدث وأخذت المماليك النصرانية بالأندلس تحصّن بلادها وتُعدّ ما تستطيع من عدة وقوات لمواجهة الخطر الإسلامي الذي يهدد وجودها، فأخذ الإسبان النصارى يستعدون لمواجهة الخطر الموحدي وعلى رأسهم مملكة قشتالة، حيث لعب ملكها الفونسو الثامن دور كبير في إشعال الحرب والتحضير لها، وأضفى عليها صبغة الحرب الصليبية المقدسة[5] .

حيث أرسل ملك قشتالة جوهارد أسقف أسقوبية إلى البابا إنوسان الثالث[6] يرجوه أن يرسل الصيحة إلى أمم أوربا النصرانية، لكي تنظّم حملة صليبية ضد المسلمين في الأندلس، وأرسل أيضا ردريك مطران طليطلة وعدد آخر من الأحبار إلى فرنسا وإلى الأمم الواقعة في شرقها وفي الوقت الذي

---

[1]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص 301 .

[2]- أبْذة : مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة سبعة أميال وهي مدينة صغيرة تقع على مقربة من النهر الكبير. الحميري: المصدر السابق، ص15.

[3]- محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص301 .

[4]- عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص399 ؛ أنظر، محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص 287 ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ،ج2، ص 108 .

[5]- ابن ابي زرع : المصدر نفسه، ص 155 .

[6]- إنوسان الثالث (1160-1216م /550هـ-613هـ)ولد في أنحاني بإيطاليا من أبرز بابوات العصور الوسطى عُرف عنه النشاط الكثيف من أجل إعادة إحياء قوة السلطة البابوية حيث عمل بجهد لفرض سيطرتها على العديد من الممالك المسيحية التي كانت خارجة عنه عن طريق سن القوانين و الشرائع وكان متحمسا جدا لفكرة الحروب الصليبية سواء في المشرق أو في الأندلس. أنظر، سعيد عبد الفتاح عاشور :تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دط، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص 198.

كان فيه البابا ومطران طليطلة يعملان للحصول على معاونة أوربا النصرانية ضد مسلمي الأندلس كان الفونسو الثامن يعمل على جمع كلمة الملوك النصارى في الأندلس ضد الموحدين، ودعا إلى مؤتمر عقد في قونية وقد حضره ملوك ومندوبون من مختلف الممالك النصرانية في الأندلس ووعدوا بتقديم يد العون من مال وجند[1].

لم يأتي شهر مايو من سنة 1212 م حتى اجتمع في قشتالة من المحاربين الصليبين الذين هرعوا من مختلف أصقاع أوربا لمعاونة الممالك النصرانية في الأندلس ضد الموحدين، و جاء زهاء ألفين من البارونات مع حاشياتهم، وعشرة ألاف من الفرسان المقاتلين، وخمسين ألف من الرجالة، وبلغت هذه الوفود الصليبية المختلفة حوالي سبعين ألف مقاتل لمؤازرة الجيوش النصرانية بالأندلس. وتلقى ملك قشتالة فوق ذلك مقادير عظيمة من الأموال والسلاح والمؤن أُرسلت إليه من أنحاء فرنسا وإيطاليا وغيرها من بلاد النصارى[2].

كانت تتألف قوات النصارى في الأندلس من جيوش قشتالة وأراغون ونافارا وليون ومن إمدادات من جليقية والبرتغال، وبلغت قوات الصليبية الوافدة إلى الأندلس في شهر يونيه 1212 م أكثر من عشرة ألاف فارس ومائة ألف من الرجالة [3]،وأمر البابا إنوسان الثالث في روما، بالصوم ثلاثة أيام التماسا لانتصار الجيوش النصرانية في الأندلس على المسلمين، وأقيمت الصلوات العامة وعمد رجال الدين والرهبان والراهبات إلى ارتداء السواد والسير حفاةً، وسارت المواكب الدينية في الطرقات خاضعة متمهلة من كنيسة إلى أخرى، وألقى البابا نفسه موعظة صليبية طلب فيها من النصارى أن يضرعوا إلى الله، التماسا لنصرة جيش النصارى في الأندلس[4].

تشير الروايات الإسلامية إلى هذه الإستعدادات الضخمة من طرف النصارى، وإلى ما سعا إليه الفونسو الثامن ملك قشتالة، حيث يقول المراكشي في هذا الصدد "وخرج الأذفنش لعنه الله إلى قاصبة بلاد الروم مستنفرا من أجابه من عظماء الروم، وفرسانهم وذوي النجدة منهم، فاجتمعت له جموع عظيمة من الجزيرة نفسها، ومن الألمان، حتى بلغ نفيره إلى القسطنطينية، وجاء معه صاحب بلاد أرغن المعروف بالبرشانوني لعنه الله".[5]

---

[1]- يوسف أشباخ : المرجع السابق،ج2، ص ص 109- 116 .

[2]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص294 .

[3]- شاكر مصطفى : الأندلس في التاريخ، دط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1990، ص 109 .

[4]- يوسف أشباخ : المرجع نفسه، ص 112 .

[5]- عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص 182 .

يصوّر لنا صاحب البيان المغرب، تلك الإستعدادات الكبيرة من طرف النصارى فيقول: "فستعد له وجمع أهل قشتالة أجمعين وغيرهم من سائر جموع ملوك النصارى الذين هموا للجزيرة مكتنفين"[1]، وفي رواية لصاحب الروض القرطاس يصور لنا هو الآخر دور الفونسو الثامن ملك قشتالة في هذه الحرب فيقول: "ثم استغاث الأذفونش بأهل ملته وحثهم على حماية دينهم، فاستجابوا له وأنثالوا عليه من كل مكان"[2].

بذلك استطاع الفونسو الثامن ملك قشتالة، أن يحشد أكبر قوة نصرانية يمكن حشدها وأن يصبغ صبغة الحرب المقدسة في محاربة المسلمين في الأندلس .

اجتمعت هذه القوات العظيمة في طليطلة عاصمة مملكة قشتالة، وكانت طليطلة وأحوازها يومئذ تعيش حركة كبيرة جراء الأعداد الهائلة للمحاربين الذين لم تستطع المدينة استيعابهم لكثرة أعدادهم[3]، وفي يوم 20 يونيه من سنة 1212 م خرجت الجيوش النصرانية من طليطلة متجهة صوب الجنوب، وقُسّمت الجيوش النصرانية إلى ثلاثة جيوش رئيسية، جيش الطليعة ويتألف من قوات الوافدين وقد قدرته بعض الروايات بستين ألف مقاتل، وقدره البعض بمائة ألف مقاتل وكان يقوده القائد القشتالي ديجولوبيت دي هارو، والجيش الثاني يتألف من قوات أراجون وقطلونية وفرسان الداوية[4]، ويقوده بيدرو الثاني ملك أراجون، والجيش الثالث يتكون من القوات القشتالية وليون والبرتغال وشنت ياقب والإسبتارية[5]، ويقوده الملك الفونسو الثامن ملك قشتالة .

وتقدر الروايات أن عدد الفرسان في الجيوش النصارى أكثر من ثلاثين ألف، ناهيك عن الأعداد الهائلة من الرجالة[6].

---

[1]- ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ج3، ص240 .

[2]- الحميري : المصدر السابق، ص137 .

[3]- يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج2، ص 115،116 .

[4]- الداوية: من أشهر الحركات الدينية في العصور الوسطى كانت تتكون من جماعات الفرسان الدينية وتنعتهم المصادر الإسلامية بالداوية بينما تدعوهم المصادر الأجنبية باسم فرسان المعبد لأنهم إتخذوا من أحد معابد بيت المقدس مركزا لهم بعد استيلائهم عليه. جماعات الفرسان الدينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس . أنظر، ساعد بن عبد الله البشيري :جماعات الفرسان الدينية الإسبانية، مجلة أم القرى، العدد 7، السعودية، 1992م، ص 192،191.

[5] - الإسبتارية هي طائفة عسكرية دينية مسيحية كاثوليكية أوربية أنشئت سنة 464هـ/1070م كما أنهم في الأصل كانوا يقومون باستقبال الحجاج في بيت المقدس و إيوائهم وكانت لهم أماكن ضيافة . أنظر: المرجع نفسه ص،192،191.

[6]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ،ع3 ،ق2 ، ص 226- 297 .

خرجت الجيوش النصرانية الجرارة نحو الأراضي الإسلامية فوصلت طلائعها في 24 يونيو سنة 1212م إلى حصن ملجون؛ وهو من حصون الحدود الإسلامية، فاستولت عليه ثم استمرت الجيوش النصرانية زحفها نحو قلعة رباح أكبر وأمنع الحصون الإسلامية في تلك الناحية، فهاجمها النصارى في 30 يونيه سنة 1212م وطوقوا الحصار على القلعة حتى عقد إتفاق على تسليم القلعة مقابل ضمان ترك الحامية الإسلامية تذهب لوجهتها التي تشاء، وبالفعل حصل ذلك واستولى الفونسو الثامن على هذا الحصن الإسلامي الكبير بأقل الخسائر وبتلك السرعة[1].

وأحدث افتتاح قلعة رباح حالة الخلاف داخل معسكر النصارى بين القشتاليين والنصارى الوافدين، ذلك أن الوافدين الصليبيين رأوا أن إفلات الحامية الإسلامية من القلعة أحياءًا غير مقبول ويتعارض مع أغراض الحرب الصليبية ، فأدى ذلك إلى رجوع حشود كثيرة منهم إلى بلادهم ، وقد قُدّر عدد المغادرين للمعسكر القشتالي حوالي خمسين ألف[2] .

واستطاع ملك قشتالة أن يتدارك ما حدث من انشقاق في معسكره، ونظّم صفوف جيشه من جديد بصورة محكمة، وهكذا استأنفت القوات النصرانية سيرها نحو الأراضي الإسلامية ومرت على شلبيطرة ولم تتعرض لها، حتى وصلت قوّاتها إلى مرتفعات جبال الشارات أو ما تسمى بجبال سيراموريا، واحتلّت البسط العلوي المقفر المسمى ممر موراداال وكان ذلك في العاشر من سفر سنة 609 هـ الموافق ليوم 13 يوليه 1212 م[3].

كان النصارى بعد احتلالهم بسيط موراداال الواقع فوق الجبل أن ينتزعوا قلعة كسترو فيرال الإسلامية والواقعة في قمة الجبل وهي التي تسمى أحيانا بحصن العقاب، وكانت بها حامية موحدية صغيرة فاحتلوا الحصن وقتلوا من كان بالحامية الإسلامية، وبسبب وعورة المكان ونقص وسائل التموين والمياه فيه كان لابد للجيوش النصرانية بأي حال من الأحوال أن تعبر جبال الشارات إلى الناحية الأخرى الأقل وعورة، وقد تعذر لهم ذلك لإحتلال القوات الموحدية سائر ممراته ولاسيما ممر لوسا جنوب غربي الحصن، وهو الذي يفض إلى سهل تولوسا، وبالفعل استطاعت القوات النصرانية أن تتحرك إلى مكانٍ أفضل وأكثر تحصينا، حيث سلكوا طريقا يؤدي إلى سهل أُبدة دون أن تنتبه إليهم القوات الموحدية، وأحتل الجيش النصراني مرتفع جديد وبسطوا سيطرتهم على بسطه وحصنوا ما

---

[1]- يوسف أشباخ : المرجع السابق ،ج2 ، ص 113،114 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 114.

[3]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص 299 ،300 .

حوله وحاولت القوات الموحدية أن تنتزعه منهم لكنهم فشلوا نظرا لتحصين النصارى وتمركزهم الجيد في تلك المنطقة[1].

ثالـثا : وقائع المعركة[2]

بعد أن أخذ الجيشان أماكنهم في المواقع التي احتلوها سارع كل معسكر في تنظيم جيشه لخوض المعركة الوشيكة، حيث تركت لنا الرواية النصرانية تفاصيل كثيرة عن تنظيم الجيش النصراني قبيل خوض المعركة وخلاصتها؛ أن الجيش النصراني قد قُسّم إلى ثلاثة أقسام رئيسية يتزعم كل قسم منها ملك من ملوك النصارى الإسبان.

فتزعَّم الفونسو الثامن ملك قشتالة قلب الجيش النصراني مع احتفاظه بنوع من الإشراف على الجيش كله وكان القلب يتألف من أربعة فرق إحداها فرقة الجبليين القشتاليين والثانية من قلعة رباح وشنت ياقب والداوية والإسبتارية، أما الثالثة من فرسان قشتالة القديمة وأشتوريس والسكونية، والفرقة الرابعة تتألف من جند الإحتياط من طليطلة وبعض من قوات ليون، وأمّا الجناح الأيمن للجيش فكان على رأسه سانشو السابع ملك نافارا مؤلّفا من فرسانه ومن جند سارية وسقُّوبية ومدينة سالم وكذلك من الفرسان الفرنسيين وجند جليقية والبرتغاليين وعلى رأسهم الأمير البرتغالي، والجناح الأيسر للجيش فقد قُسّم إلى أربعة فرق تظمُّ العساكر الأراغونية وبعض رجّالة قشتالة ويتقدّمه الملك بيدرو الثاني ملك أراغون.[3]

أمّا عن تنظيم الجيش الإسلامي المرابط في سهول تولوسا، الحقيقة أنه لا توجد تفاصيل شافية[4] إلّا أنّه قد ذكرت بعض الرّوايات أن الجيش الموحدي قد قُسّم إلى خمسة فرق كبيرة تتألف الفرقة الأمامية من قوات المتطوعة من مختلف الطوائف وقد قدّرتهم الرّواية الإسلامية بمائة ألف مقاتل والفرقة الثانية ميمنة الجيش تتكون من القوات الأندلسية والفرقة الثالثة ميسرة الجيش إصطفّت فيها القوات البربرية وأما الفرقة الرابعة والخامسة فكانت تمثّل القلب والقوات الإحتياطية وكان يوجد بهما صفوة الجيش من الجند الموحدي.[5]

---

[1]- يوسف أشباخ : المرجع السابق،ج 2، ص 116،117.

[2] - أنظر الملحق رقم 04، ص85.

[3]- بطرس البستاني : معارك العرب في الأندلس، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 م، ص 61،62.

[4]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص 309 .

[5]- يوسف أشباخ : المرجع السابق، ص 119.

بين القلب ومؤخرة الجيش الموحدي نصبت قبّة الخليفة التقليدية الحمراء وأمامها جواده المسرج، ويحيط بالخليفة حرسه الخاص من الفرسان والمشاة من الحرس الخليفي وأغلبهم من العبيد السودانيين بأيديهم الرماح الممدودة، ومُدَّت حول الخليفة قبّة دائرية من السلاسل الحديدية القوية حتى أصبح الخليفة وكأنه يجلس في حصن منيع، وكان بوسع النصارى الذين يتمركزون في الرُّبى العالية أن يروا أعداد القوات الاسلامية التي لا تحصى وقبة الخليفة الحمراء. وما إن انتظمت الجيوش تجاوبت أصوات الطبول والأبواق من الجانبين فارتجت لها الرّبى والسهول، وإذا بالخليفة الناصر يخرج من قبته وعليه عباءته فرفع المصحف بيد والسيف بالأخرى إشارة للهجوم[1].

بدأت المعركة في الصباح الباكر من يوم الاثنين الخامس عشر من صفر سنة 609 هـ/1212 م وكان كلٌّ من الجيشين على أُهبة لخوضها[2]، حيث بادرت القوات الاسلامية هجومها عن طريق الجنود المطوعة الذين ارتطموا بالجنود القشتاليين وجموع الفرسان، وأشتبك الفريقان في معركة حامية وتحرك الجناحان في كل من الجيشان تجاه بعضهما حتى غدت المعركة عامة[3]، وكان هجوم قوات المطوعة شديدا في البداية ومع ذلك لم يستطيعوا إختراق صفوف الفرسان القشتاليين والأكثر من ذلك أن قوات المتطوعة لم تستطع الحفاظ على ثباتها حيث ارتدوا تحت ضغط النصارى و أُستُشهِد ألوف منهم في سبيل الدفاع عن دينهم وكثر القتل فيهم ، ويقول صاحب الروض القرطاس في ذلك " أنهم لبثوا يقاتلون حتى أُستشهدوا على آخرهم وعساكر الموحدين والعرب وقوات الأندلس ينظرون إليهم ولم يتحرك منهم أحد[4]" .

بذلك استطاعت القوات النصرانية أن تخترق فرقة المطوّعة حتى وصلت إلى قلب الجيش الإسلامي والذي كان يتألّف من قوات الجند الموحدية النظامية وهي صفوة الجند، حيث لقوا أشدّ مقاومة وارتدّت القوات النصرانية فارّين وبذلك صُدَّت هجمة النصارى ، ومن جهة أخرى فإن ميمنة وميسرة الجيش الموحدي إستطاعت بعد قتال عنيف أن ترد جناحي الجيش النصراني وأخذت القوات

---

[1]- ابن ابي زرع : المصدر السابق،ج2، ص 158 ؛ أنظر، يوسف أشباخ : المرجع نفسه، ج2، ص 118 ؛ بطرس البستاني : المرجع السابق، ص 62 .

[2]- محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص 311 .

[3]- نفسه، ص311 ؛ أنظر، راغب السرجاني: المرجع السابق،ج2، ص 616.

[4]- ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 158.

النَّصرانية حسب الرواية النصرانية في الارتداد والفرار ولاح الفريقين أن لواء النصر سوف يعقد للموحدين[1].

لما رأى ملك قشتالة الفونسو الثامن من الرُّبى التي كان يتمركز عليها من تطور المعركة على هذا النحو السيئ من تراجع القوات النصرانية في القلب والجناحين وما ينذر به من هزيمة محققة، أراد ان يسير بنفسه على رأس الجنود الليونيين والطليطليين وهم جماعة مختارة،كانت تؤلف القوة الاحتياطية وأن يقتحم الميدان ليحاول محاولة اليائس الأخيرة، وكانت كلماته التي قالها لمطران طليطلة وهي "أن الساعة قد حانت لتلقي الموت المجيد"[2]، لكن إعتراضات المطران وكبار قادته ردت الفونسو أن يخوض بنفسه أعظم الأخطار، وفي الوقت نفسه أطلقت القوات المدد المدربة لأنقاض الجيش المرتد، وسار الأحبار بأنفسهم على رأس الجند الى قلب المعمعة وهم يرفعون أعلاما عليها صورة المسيح والعذراء ويثيرون بذلك أعظم الحماسة في نفوس الجند، وبالفعل كانت لها أثر كبير وعادت من جديد الكفة للنصارى حيث نُظّمت صفوف القوات النصرانية واستأنفوا زحفهم وهم يحطّمون كل مقاومة باتجاه قلب الجيش الإسلامي حيث كان الخليفة الناصر وحرسه[3].

وفي ظلّ تلك التطورات اندفع الفونسو الثامن وقواته إلى الصف الأمامي، وتبعه في نفس الوقت ملكا أراغون ونافارا كلٌّ في قواته نحو جناحي الجيش الإسلامي، وهجمت القوات النصرانية كلها في وقت واحد بمنتهى الشّدة والعنف ،حتى بدأت ميمنة وميسرة الجيش الإسلامي في الإرتداد تحت ضغط الفرسان النصارى، وفرت القوات الأندلسية والعرب وأحدث فرارهم إضطرابا عظيما في الجيش الإسلامي[4].

صوّب النصارى كل هجومهم على دائرة السلاسل الحديدية التي احتشدت حولها ألوف مؤلّفة من الحرس شاهرين حرابهم، ولم يصمد في هذا القتال سوى الجند الموحدين وحرس الخليفة من السود والمغاربة، حيث صمدوا في مقاومة هجمات النصارى وصدّوهم في كل ناحية بشجاعة فائقة وبسالة[5]، وأستطاع النصارى أن يخترقوا قلب الجيش الإسلامي إلى دائرة الحرس الخليفي، فردّتهم

---

[1]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2 ، ص 311،312 .

[2]- الصلابي : المرجع السابق، ص 212،213 ؛ أنظر، محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص 311،312 ؛ يوسف اشباخ : المرجع السابق، ج2، ص 119 .

[3]- راغب السرجاني : المرجع السابق، ص 615.

[4]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص 159.

[5]- المرجع نفسه، ص159 .

السلاسل الحديدية ورماح العبيد وهم كالبنيان المرصوص حول قبة الخليفة، لكن في الأخير إستطاعت قوات النصارى أن تخترق الدائرة المدرّعة، ودخلت الفرسان القشتالية وكذلك قوات أراغون ونافارا كلٌّ من ناحيته وبذلك مُزّق الجيش الموحّدي من كل ناحية ، وكَثُر القتل فيه كثرة مروّعة[1]،

تذكر الرواية الإسلامية أن الخليفة الناصر مكث في مجلسه الحرج إلى آخر لحظة وهو يحث جنده على الصمود وتنوه كل الروايات بثبات النّاصر وصموده اليائس في تلك اللحظة الرهيبة التي تناثر فيها جيشه وحرسه، وبقي الناصر في مكانه حتى كادت الروم أن تصل إليه بل كاد أن يُهلَك، وقُتِل حوله من العبيد أكثر من عشرة ألاف عبد، وأنه لولا ثباته على هذا النحو لأستوصلت جموع الجيش الموحدي كلها قتلا وأسرا، وأضطر الناصر في آخر لحظة أن يمتطي صهوة فرس قدّمها إليه أعرابيٌّ كان إلى جانبه بعد أن نبّأه بفرار جنده وناشده أن لا يقعد بعد وقال الناصر" صدق الرحمان وكذب الشيطان "[2] ، وفرّ الناصر مع نفر من خاصّته على جناح السرعة إلى بياسة لكنه لم يقف بها بل سار منها إلى إشبيلية[3].

كانت فلول الجيش الموحدي حينئذ تفر في كل ناحية ومن ورائهم فرسان النصارى يمعنون فيهم قتلا وإفناءاً وأستمرت هذه المطاردة المروعة حتى دخول الليل، وقبل مغيب الشمس كان ملوك النصارى والمطران والأساقفة وجزءٌ كبير من الجيش النصراني قد دخلوا محلة الجيش الموحدي وأستقروا بها. وأضحى الجيش الإسلامي العظيم الذي كان بها منذ ساعات أثرا بعد عين[4].

رابعا : نتائج المعركة :

كانت وقعة العقاب من أشنع الهزائم التي لحقت المسلمين بالأندلس إن لم تكن عديمة النظير لديهم، حيث خسروا فيها الكثير وما خسروا بعد المعركة كان أكبر وقتل في هذه المعركة خلق كثير كان منهم عدد وافر من الأعيان وأكابر العلماء[5]، وكان وقع هذه الهزيمة المروّع بالجيش الموحدي في يوم الأثنين الخامس عشر من صفر سنة 609 هـ الموافق ليوم 16يوليه سنة 1212م[6]، وهي تعرف في التواريخ النصرانية بموقعة الهضاب او تولوسا las navas de tolosa، لوقوعها فوق مجموعة من الوديان

---

[1]- ابن ابي زرع : المصدر السابق،ج2، ص 159؛ أنظر، يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج2، ص 120.

[2]- ابن ابي زرع : المصدر نفسه، ص 234 ؛ أنظر، السلاوي: المصدر السابق، ج2، 224 .

[3]- محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص159 ؛ أنظر، الصلابي: المرجع السابق، ص 213 .

[4]- محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص 213 .

[5]- علي الحجي: المرجع السابق، ص494.

[6]- ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ج2، ص 159؛ أنظر، عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص213.

الصغيرة التي تحيط بها الرّبى ، وتقع في سفح جبال الشارات الجنوبي، وتعرف أيضا بموقعة أُبدة لوقوعها على مقربة من شمال غربي هذه المدينة، أما في التواريخ الإسلامية فإنها تعرف بموقعة العقاب من مفردها عقبة وذلك فيما يرجع لوقوعها بين الربى والتلال المانعة، وينفرد صاحب الروض القرطاس إلى جانب تسميتها بموقعة العقاب بتسميتها بموقعة حصن العقاب أو حصن العقبان وهو باسمه الإسباني حصن غازال أو كاسترو فرال ferral Castro K، الواقع على قمة جبل الشارات[1].

تعدّدت أوصاف المؤرخين لهزيمة العقاب المفصلية ، فمنهم من وصفها "بالهزيمة العظمى"[2] وآخرون بأنها "التي أفضت إلى خراب الأندلس بالدائرة على المسلمين فيها وكانت السبب الأقوى في تحيف الروم بلادها حتى إستولت عليها"[3]، وبأنها الواقعة التي كانت سبب هلاك الأندلس[4]، وبكونها أوّل وهن دخل على الموحدين، فلم يقم بعد ذلك لأهل المغرب قائمة... [5].

تتفق جميع الرّوايات الإسلامية والنّصرانية في أن عدد القتلى من المسلمين في معركة العقاب كان عظيما ، ذلك أن معظم المؤرخون المسلمون يصوّرون الهزيمة في العقاب بأعظم مما يُقدّر النصارى خسائر أعدائهم، حيث يقول صاحب الروض القرطاس أنّه لم ينجو من الجيش الموحدي في موقعة العقاب إلّا واحد من الألف، وإذا قدّرنا تعداد الجيش الموحّدي في العقاب بنصف مليون مقاتل يعني ذلك أنه لم ينجو من المعركة سوى خمسمائة مقاتل فقط وهذا في منتهى الإغراق ، ثم يبرّر ابن أبي زرع هذه الكثرة في قتلى الجيش الموحدي أنّ ملوك النصارى قد أنذرو بالموت كل مقاتل نصراني يأسر مسلما، فقد هلك من المسلمين أثناء الفرار أكثر مما هلك في الموقعة ذاتها[6]، حيث تشير الرواية أن النصارى لبثوا مدة أربعة ساعات كاملة يطاردون أعدائهم الفارين ويقتلون كل من ظفروا به، ويصف صاحب الحلل الموشية الموقعة بالهزيمة العظمى التي فنى فيها أهل الأندلس والمغرب ويقول صاحب

---

[1]- ابن أبي زرع : المصدر نفسه، ص159 ؛ أنظر، عبد الله عنان :المرجع نفسه، ص 213 .

[2]- مجهول : الحلل الموشية، ص 122 .

[3]- ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة، تحقيق : عبد السلام الهراس، دط، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة، 1415هـ، ص ص 124-134.

[4]- ابن عذاري : المصدر السابق، ج3، ص 263 .

[5]- الحميري : المصدر السابق، ص 416 .

[6]- ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 159 ؛ أنظر، عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص 314 ؛ بطرس البستاني: المرجع السابق، ص 64 .

الذخيرة السنية مشيرا إلى الموقعة أنه قتل من المسلمين خلق كثير لا يحصى، وفيها فنى جيوش المغرب والأندلس[1].

أما الرواية النصرانية فتُقدّم لنا ثلاثة شهود عيان للمعركة، وهم الفونسو الثامن ومطران طليطلة ومطران أربونة عن خسائر المسلمين أرقاما أقل، فيقدر ردريك الطليطلي عدد القتلى من المسلمين بمائتي ألف، اما الملك الفونسو فيقدرها بمائة وخمسة وثمانين ألف فارس وعدد لايحصى من المشاة، ويقدم المطران أرنولد خسائر المسلمين في الموقعة بستين ألفا ويقول أنه من الممكن أنه هلك أكثر من ذلك أثناء الفرار.[2]

وبالنسبة لخسائر الجيش النصراني في هذه المعركة، نجد أن الرواية النصرانية تقدم أرقاما لا يمكن تصورها والغريب في ذلك أن شهود العيان هم الذين يقدّمون هذه الأرقام، فالمطران ردريك يقول أنه لم يقتل في الموقعة من النصارى سوى الخمسة والعشرين، والملك الفونسو هو الآخر يذكر في خطابه إلى البابا أنهم لم يتجاوزوا الثلاثين، أما مطران طليطلة فيقول أنّ قتلاهم لم يتجاوز الخمسين، ولا شكّ أن هذه الأرقام الضئيلة والتي لا يمكن أن يتصورها العقل، هي محاولة الرواية النصرانية أن تصبغ ثوب المعجزة على النصر الكبير الذي أحرزوه .

من المؤكّد أن خسائر النصارى كان كبيرا ايضا في مثل هذه المعركة الكبيرة التي ألتحم فيها الجيشان معا وصارت معركة عامة شارك فيها الجميع[3] ، ويقدم لنا الراهب ألبريكوس الذي عاش قريبا من هذا العصر تفسيرا لهذا الرقم الضئيل الذي قدمته الرواية النصرانية عن خسائرهم فيقول أنّه هلك من المسلمين في الموقعة مائة ألف، لكن هلك في نفس الوقت من النصارى خلال التحام المعركة عدد كبير، يبدو أنه لم يهلك منهم خلال مطاردتهم للمسلمين سوى نحو ثلاثين[4].

و نجد كذلك قد هلك في هذه الموقعة المروعة جملة من الأعيان والعلماء والطلبة بين قتيل ومفقود نذكر منهم :

أبو عمر أحمد بن هارون بن عات النفزي (542-609 هـ) من أهل شاطبة صاحب التأليف كان أحد الحُفّاظ للحديث موصوفا بالدّراية والرّواية[5]. والقاضي الفقيه أبو إبراهيم إسحاق بن يعمر

---

[1]- مجهول : الحلل الموشية، ص 122 ؛أنظر، بطرس البستاني: المرجع نفسه، ص64.

[2]- يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج2، ص 122 ؛ أنظر، محمد عبد الله عنان: المرجع نفسه، ص 315.

[3]- نفسه، ص 315.

[4]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ع3، ق2، ص 316،317 .

[5]- المقري : المصدر السابق، ج2، ص 602 .

المجابري تولى قضاء فاس ثم بلنسية[1]، وأبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري من أهل سبتة الذي إستوسع الرواية وكان معروفا بالزهد[2]، وأبو محمد تاشفين بن محمد المكتب من أهل فاس كان زاهدا معلما بالقرآن[3]، ومحمد بن الحسن الأنصاري والمعروف بابن صاحب الصلاة ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضري[4] وغيرهم، ووصف ابن الدباغ الإشبيلي –شاعر– هذه الموقعة وتوابعها الخطيرة أيما وصف فقال :

وَقَائِلَةٌ أَرَاكَ تُطِيلُ فَكْرًا ** كَأَنَّكِ قَدْ وَقَفْتَ لَدَى الحِسَابِ فَقُلْتُ لَهَا أُفَكِّرُ فِي عِقَابٍ ** غَدًا سَبَبًا لِمَعْرَكَةِ العِقَابِ فَمَا فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ مَقَامٌ ** وَقَدْ دَخَلَ البَلَاءِ مِنْ كُلِّ بَابٍ[5].

لقد غنم النصارى الكثير، فقد استولى النصارى في محلة الجيش الموحدي على مقادير وافرة من الغنائم، السلاح، الخيام، الذهب، الفضة، النقود، البسط، الآنية الثمينة، الثياب، الأقمشة وكذلك على مقادير عظيمة من المؤن وعلى ألوف مؤلفة من دواب الحمل، فكانت من أعظم الغنائم التي ظفر بها النصارى[6].

---

[1]– ابن الأبار : التكملة، ج1، ص194 .

[2]–المصدر نفسه، ص 202 .

[3]– نفسه، ص 235 .

[4]– نفسه، ج2، ص 285،286 .

[5]– المقري : المصدر نفسه، ج4، ص464 .

[6]– محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص 317 .

المبحـث الـثاني

– دراسة في أسبـاب هـزيمة الموحدين في العُقاب.

أولا: العوامل التي ادت إلى ضعف الجيش الموحدي.

1 – الجوائح الطبيعية.

2 – الأزمات السياسية.

ثانيا: نظرة في الجيشين (القوة – الضعف).

1– الجيش النصراني.

2– الجيش الموحدي.

المبحث الثاني : دراسة في أسباب هزيمة الموحدين في العقاب (609هـ/1212م) .

نُكبت الأندلس بنكبة عسكرية لم تقم لها بعدها قائمة، كان ذلك في معركة العُقاب سنة 1212م، وكما كانت معركة الزلاَّقة هي الفرملة التاريخية للسقوط الأندلسي عام 479هـ/1086م فإن معركة العقاب هذه كانت بداية النهاية للأندلس. وينقل المؤرخ عبدالله عنان عن الواقعة فيقول: "في التواريخ الإسلامية تعرف بموقعة العُقاب، من مفردها عَقبة، وذلك فيما يرجُح لوقوعها بين الرُّبى والتلال المانعة، وليس بمعنى المعاقبة على الذنب، وإن كان بعض الكتاب والشعراء قد نسبوا إليها مثل هذا المعنى، في معرض التلويح بغضب الله وعقابه للموحدين، لأنهم حادوا عن جادته وبغوا وتجبروا"، ومن المسلّم به أنّ خسائر المسلمين في معركة العقاب كانت فادحة جداً. والروايات الإسلامية تجمع كلها على أن الجيش الموحدي قد هلك معظمه. ويصف صاحب الحلل الموشية المعركة بالهزيمة العظمى التي فني فيها أهل المغرب بالأندلس، وقد أسفرت هزيمة العقاب الساحقة عن أفدح وأروع الآثار التي لا يمكن تصورها، سواء بالنسبة للأندلس أو المغرب أو الدولة الموحدية ذاتها[1].

أولا : العوامل التي أدت إلى ضعف الجيش الموحدي

عرفت الدولة الموحدية خلال تاريخها العديد من الأزمات والشدّائد واتّخذت الدولة والمجتمع إزاءها مواقف مختلفة، فاستطاعت أن تمتصّ آثارها أحيانا وانكسرت أمامها أحيانا أخرى، ولقد عانت الدولة الموحدية في عهد الخليفة الناصر بمجموعة من الأزمات المختلفة، التي كانت فيما بعد إحدى أهم الأسباب التي أدّت إلى تضعضع الدولة وذاك ما تمثّل في الهزيمة المريرة في معركة العقاب ومن أهمها نذكر:

1- الجوائح طبيعية:

إن كارثة العقاب كانت في حد ذاتها نتيجة لسنوات عجاف بالمغرب مافتئت أن أصبحت وتيرة الأزمة بعدها متسارعة وأمتدت لسنوات طويلة، ومن الأزمات الطبيعية التي شهدتها الدولة الموحدية هي الزلزلة العظيمة التي وقعت في سنة 600هـ/1204م؛ وعمت بلاد المشرق وحوض البحر

[1]- خالص جلبي : معركة العقاب، مقال في صحيفة الشرق المطبوعة، العدد 21، 2011/12/25م، ص 16 .

المتوسط "وبلغت إلى تبسة ببلاد المغرب"[1]، لكن المصادر لم تتحدث عن نتائجها التي يبدو أنها كانت ضعيفة في المنطقة[2] .

وبدخول سنة 607هـ/1210م، عرفت بلاد المغرب أزمة مجاعة وغلاء شديدة عمت كل مناطق المغرب، وقعت خلالها أزمة إجتماعية بحاضرة مراكش، حيث وقع يوم الخميس 13 جمادي الأولى سنة 607هـ، حريق مهول بقيساريتها إمتد إلى ما إتصل بها من أحياء وكانت اضراره بالغة على التجار والسكان على حد سواء، وخلّف إضطرابات بتحرك اللصوص لإرتكاب السرقات[3] حتى " ذهب للتجار الواردين والقاصدين والدالين من الأموال الجسيمة مالا يحصى وأفتقر فيها أمم من ذوي اليسار وأصبحوا يتكففون الناس حيارى على الأقطار"[4]. الشيء الذي دفع السلطة إلى التحرك لاحتواء الأزمة حيث" أمر الناصر بالبحث عن من وجد شيء يذكر عليه من أمتعة التجار وعثر عليه بالتجسس والاختبار، فلقط من أخلاط الناس قوم قلائل ومن بين المتعلقين بالقبائل فقتلوا عن آخرهم وبقي البحث عن سائرهم"[5].

ثم أمر الناصر ببناء القيسارية "فرجعت إلى عهدها السابق"[6]، لأنها كانت من معالم ومفاخر مراكش "كالمرآة في وجه القصر تضيء به من أكنافه"[7] .

2- الأزمات السياسية:

إنّ الدولة الموحدية التي تضمنت الأندلس وإفريقية كلّها إلى تخوم مصر وهي رقعة شاسعة لم تجتمع لأي من الدول الإسلامية من قبل، مالبثت أن أصابها الإخلال في ظلّ الخلفاء المستضعفين فلم يكد محمد الناصر أن يخلف أباه يعقوب المنصور حتى واجهته الثورات من كل سبيل وكان عليه بادئ الرأي أن يقمع ثورة قبيلة غمارة البربرية في الأطلس (جبال درن)، حتى إذا تم له ذلك إنقلب إلى الجزء الشرقي من الدولة المترامية الأطراف إبتغاء القضاء على ثورة يحيى بن غانية في إفريقية، وبعد أن أعاد

---

[1]- جلال الدين السيوطي : كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، تحقيق : عبد اللطيف السعداني، د ط، وزارة الثقافة، الرباط المغرب، 1971، ص 48.

[2]- محمد مغراوي : الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، جذور للنشر، الرباط المغرب، دت، ص 165 .

[3]- المرجع نفسه، ص 165 .

[4]- ابن عذاري : المصدر السابق، ج3، ص 258 .

[5]- المصدر نفسه، ص 258 .

[6]- نفسه، ص 259 .

[7]- نفسه.

فتح المهدية عاصمة الأغالبة سابقا في كانون الثاني سنة 1206م، عهد في حكم الشرق إلى عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي الذي سبق لأبيه أن أسدى خدمات جليلة إلى مؤسس الدولة الموحدية والذي إستطاع أعقابه بنو حفص أن يستقلوا بتونس كما قضى الناصر على البقية الباقية من حكم المرابطين وكان بنو غانية قد إستقلوا عقب خسارتهم الأندلس بالجزر الشرقية، فلم يكن من النّاصر إلّا أن وجّه لحربهم أسطولا فوقّق في إنتزاع ميورقة منهم[1].

ورغم أنه تم القضاء على هذه الثورات، غير أنّها أضرّت كثيرا بالدولة الموحدية في جلّ الميادين.

ومن نتائج هذه الوضعية الصعبة إزدياد ضغط النصارى بالأندلس على بعض المدن، مما إضطر بالخليفة محمد الناصر إلى التحرك إليها برسم الجهاد وقد إنطلقت حركته من مراكش في ظروف أزمة شديدة أضرت بها ضررا بليغا[2].

وزاد من توتر الأوضاع فساد الإدارة الذي كان يضاعف من وقع الأزمة على الدولة والسكان معا الشيء الذي دفع النّاصر إلى محاسبة بعض عمّاله منذ عودته من حملته الإفريقية سنة 604هـ الأمر الذي أدّى إلى توتر العلاقات بين الناصر وكبار موظفيه في الإتجاه السلبي حيث عاقب عاملي فاس ومكناسة وصادر أموالهما كما شملت العملية أشخاص آخرين من المغرب والأندلس لإكتشاف سوء تصرفهم المالي بعد أن حاسبهم وتفقد سجلاتهم[3]، محمّلا إياهم مسؤولية إستفحال الأزمة بسبب الإهمال والإختلاس[4]، وحتى الأشياخ من كبار رجال الدولة نلاحظ أن الناصر كان يحاول إضعاف دورهم الذي تصاعد في عهد أبيه، وربما كان تعيين الشيخ عبد الواحد الحفصي واليا على إفريقية يدخل في إطار إبعاده عن دور الوصاية عليه[5]، كما أن وزير أبيه أبن يوجان الهنتاتي أرسله إلى تلمسان واليا لمواجهة زحف قوات بني غانية وفي نفس الوقت إبعاده عن البلاط[6].

من خلال هذه المعطيات يمكن الإستنتاج أنّ هذه الأزمات التي واجهت الدولة الموحدية قد أثّـــرت كثـــيرا عليهـــا وخاصّـــة علـــى وضـــعيتها الإقتصـــادية قبـــل معركـــة العقـــاب.

---

[1]-كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة : نبيه أمين فارس ومنير البعلبي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1968م، ص 329،330 .

[2]- محمد مغراوي : المرجع السابق، ص 166 .

[3]- ابن عذاري : المصدر السابق، ج3، ص226 ،227 .

[4]- المصدر نفسه، ص 259 .

[5]- وصية المنصور لإبنه يعبد الواحد وأخيه أبي زكرياء أبي الشيخ أبي حفص بألاّ يصدر أمرا دون مشورتهما . المصدر نفسه، ص 208.

[6]- عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص 308 .

ونعتبر هذه المحدّدات كعوامل غير مباشرة، لأن الموحدون تفوّقوا على مستوى عدد الجيش والعتاد الحربي كما تذكر المصادر.

ثانيا: نظرة في الجيشين

ولكي نخلص إلى الأسباب الكامنة التي أدت إلى إنهزام الجيش الموحدي وإنكساره السريع في معركة العقاب وبتلك الطريقة المريعة والغير المنتظرة،كان علينا أن نسلّط ضوء دراستنا على طبيعة القوة التي أثّرت في الجيشان الموحدي والنصراني .

1- الجيش النصراني : هناك عدة عوامل ومعطيات قلبت كفة القوة لصالح الجيش النصراني ويمكن أن نوجزها في النقاط التالية .

تحالف الممالك الصليبية معا ضد الموحدين؛ كان إصرار ملك قشتالة على الإنتقام من هزيمة الأرك قويا فأخذ بكافة الأسباب التي تعين على تحقيق النصر الحاسم على الموحدين، فعمل على توحيد الجبهة الداخلية وطلب إمدادات من البابا ومن ملوك أوربا وجعل الحرب مقدسة من أجل العقيدة [1] وتمثّلت مجهودات الفونسو الثامن في توحيد الجبهة الداخلية فيما يلي :

بعث الفونسو الثامن الأساقفة إلى البابا إنوسنت الثالث بروما يناشده إعلان الحرب الصليبية في أوربا ويحث الشعوب الأوربية على السير الى إسبانيا لقتال المسلمين، ثم أرسل أساقفة آخرين إلى أنحاء أوربا ليثيروا حماسة الشعوب النصرانية من البرنية الى البحر الأسود فتهرع لقتال المسلمين[2]، ثم عقد مؤتمرا في مدينة قونقة لتوحيد الجهود ضد المسلمين، فحضر المؤتمر إلى جانب الفونسو الثامن "بدرو الثاني"ملك أرغونة، أمّا بقية الملوك الإسبان فقد بعثوا مندوبين عنهم وانتهى المؤتمر بالإتفاق على الإتحاد والتضامن لقتال الموحدين وتقديم الجند والمال اللازم ثم أعلن ملك قشتالة الحرب الصليبية في الأندلس و أطلق صرخته المشهورة كلنا صليبيون[3].

أخذ النصارى المتطوعون يفدون تباعا على مدينة طليطلة من كافة أنحاء المدن الإسبانية يقودهم رجال الدين،كما قامت المجالس البلدية بتوفير الخيل والسلاح والمؤن، ثم وفد فرسان الجمعيات الدّينية فوصل فرسان قلعة رباح وفرسان شانت ياقب وفرسان الإسبتارية وفرسان الدّاوية[4].

---

[1]- الصلابي :المرجع السابق، ص215.

[2]- يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج2، ص357،358.

[3]- هشام بورميلة : المرجع السابق، ص282.

[4]- يوسف أشباخ : المرجع نفسه، ص358

أنذر البابا عقوبة الحرمان الكنسي على كل ملك أو أمير يتأخر عن مساعدة ملك قشتالة فوصل طليطلة جيش مملكة أرغونة بقيادة الملك بدور الثاني وكان الجيش يضم الأتباع والأمراء بكامل قواتهم من الفرسان والمشاة ثم وصل جيش مملكة البرتغال بقيادة الأمير بدور الثالث ابن الملك صانشو الأول، ثم وصل جيش ملك ليون بقيادة الأمير سانشو أخو ملك ليون الفونسو التاسع، أمّا ملك نبارا فلم يكن قد استكمل إستعداده بعد ولكن حضوره كان متوقعا[1].

كذلك استجار البابا لملك قشتالة فأعلن الحرب الصليبية وبعث الأساقفة ورجال الدين إلى أوربا لحث الصليبيين على التوجه إلى الأندلس لقتال المسلمين فأخذت جحافل الصليبيين تفد على طليطلة عبر البرنية من معظم أنحاء أوربا، بينما وفد البعض الآخر عن طريق ميناء برشلونة[2].

حضر إلى طليطلة من أنحاء أوربا زهاء ألفين من البارونات بحاشيتهم، وحضر معهم عشرة آلاف فارس وخمسون الفا من المشاة، فاجتمع من هؤلاء جيش بلغ زهاء سبعين الف مقاتل ولم تتسع مدينة طليطلة لجميع الصليبيين الوافدين فأقام معظمهم خارج مدينة طليطلة على أرض شاسعة فكانت جموعهم تبدو في حالة حركة دائبة ويرتفع صوتهم بلغات مختلفة كما يبدو منظرهم مزيجا من الأزياء والسلاح لا تجمعهم عادات واحدة[3]

وهنا يدخل دور الفونسو الثامن في تنظيم هذا الحشد العظيم من القوات الصليبية فنجح في تعبئته الإقتصادية حيث وفر لهم مؤنا كافية يضاف الى ذلك المساعدات الغذائية و المالية من طرف حلفائه وكذا إستفادته الإقتصادية من المؤن التي وجدها أثناء دخوله قلعة رباح المتمثلة في الخيام و الأطعمة والخيل كما قام بالتحفيز المالي للجيش حيث منح للمتطوعين رواتب مالية عشرون شلنا للفارس الواحد وخمسة شلنات للراجل[4].

كما كان للبابا إنوسنت الثالث دور كبير في تعبئة هذه الجيوش دينيا والذي دعا الى صيام ثلاثة أيام من أجل الإنتصار على المسلمين وإقامة الصلوات العامة حيث إرتدى رجال الدين والرهبان السّواد وساروا حفاة دليل على نجاح هذه التعبئة الدينية[5]، وفي هذا يقول ابن ابي زرع "فجاءته ملوك

---

[1]- يوسف أشباخ : المرجع السابق، ص359

[2]- هشام ابورميلة : المرجع السابق، ص 283.

[3]-شوقي ابو خليل : العقاب بقيادة أبا عبد الله محمد الناصر، دار الفكر، بيروت، دت، ص31.

[4]- خميسي بولعراس:فن الحرب رسالة لنيل درجة دكتوراه، إشراف ،كمال بن مارس، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2013-2014م، ص 174 .

[5]- المرجع نفسه، ص284.

الروم في جيوشهم مستعدين غاية الإستعداد قد شمّروا للطّعان والجِلاد، حيث بلغ في شهر ذو الحجة 609هـ زهاء ألفين من البارونات وعشرة آلاف من الفرسان المقاتلة وخمسين ألفا من الرجالة[1].

الدور الكبير لألفونسو الثامن ملك قشتالة .ويعود سبب هزيمة الموحدين في العقاب إلى حنكة ملك قشتالة الفونسو الثامن في تسيير أمور المعركة وذلك لتمرسه الطويل في ميدان الحرب واستفادته من الأخطاء الحربية التي وقع فيها خاصة معركة الأرك وتجلت مهاراته في : إعتماده على أسلوب الإقتصاد في الجهد ووزع قواته في المعركة توزيعا دقيقا حسب متطلبات مسار المعركة فقدّم جيوش المقدمة ثم الجناحين و دخل بصفة نهائية بقوات إحتياطية نوعية وهذا هو السر الذي كان من أعظم العناصر المساهمة في هذا الإنتصار أمام فوضوية الجيش الموحدي وقتاله بالجملة وافتقاره للتنسيق وبعد النظر[2].

عودة المقاتلين الصليبيين المنهزمين في فلسطين إلى مسارح القرصنة والارتزاق في البحر المتوسط.

تحالف الفونسو الثامن ملك قشتالة (1158-1214م) مع فرسان الهيكل[3] هؤلاء الفرسان عادوا من المشرق[4] أثر الحروب الصليبية وشاركوا في المعركة، وبذلك استفاد النصارى الإسبان من فرسان الهيكل الذين كانت لهم الخبرة والدراية في مواجهة الجيوش الإسلامية .

مشاركة بعض المحاربين الفرنسيين الصليبيين في صف النصارى الأسبان، تميز هؤلاء الفرسان الفرنسيين في القتال على السهول[5]، ونحن نعلم أن المعركة قد وقعت في منطقة سهلية سهل تولوسا.

ما يمكن أن نضيفه إلى هذا أن هذه القوة كانت نتيجة لتضافر هذه العوامل فيما بينها تحت لواء تطور فن الحرب، حيث عرفت تلك الفترة تطور الفروسية الأوروبية بالإضافة إلى الاتحاد حتى ولو كان تحت لواء ديني لكننا نراه أنه كان نتيجة وعي شهدته الأمم الأوربية في تلك الفترة .

---

[1]- ابن ابي زرع : المصدر السابق، ج2، ص237.

[2]- خميسي بولعراس: المرجع السابق، ص175.

[3]- نجيب زيبب : الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج 2، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت لبنان، 1410 هـ/1990 م، ص396،395..

[4]- المرجع نفسه، ص 397 .

[5]- نفسه .

ب- ضعف الجيش الموحدي:

لقد تظافرت عوامل عدة أدت لإضعاف الجيش الموحدي نوجزها في النقاط التالية :

1- إن جيش الناصر لم يكن متجانسا، إذ كان مؤلفا من قبائل شتى ومنها قبائل بني هلال وبني سليم الحاقدين على الموحدين وكتائب من السود المرتزقة وأخرى من القوط هذه الأخيرة كانت بأعداد كبيرة في جيش الناصر التي دستها عامدا ملوك وأمراء القوط في جيش المسلمين، فكانوا أول من هزم عند بدأ المعركة فانضمت وحداتهم المنهزمة إلى جيش العدو، ثم أنهزم الأندلسيون وفروا من ميدان المعركة ولحقت بهم كتائب السود وهكذا هزم جيش الخليفة الناصر في المعركة، وبذلك يعد هذا السبب من الأسباب الرئيسية في إنهزام الموحدين في المعركة ومن ثم تغلغل جنود القوط والجواسيس في الجيش الموحدي[1].

2- الإفتقار لوجود قيادة عسكرية حازمة في الجيش الموحدي، يقابل ذلك كثرة المشايخ والمستشارين الذين ربما كانوا يحسنون التكلم في الدين والفقه ولكن ليس في المسائل العسكرية وقيل أن محمد الناصر لم يكن أهلا للقيادة وكذلك الوزير الاول ابن جامع، ويظهر ذلك لما جاز الخليفة الناصر بنفسه إلى الأندلس ونزل بجزيرة طريف ثم سار بعد أيام إلى اشبيلية وهناك كان الخطأ الفادح، نتيجة لصغر سنه ولقلة خبرته واستبداده بالرأي، حيث أرسل خيرة جنده الى شلبطرة فأنهك بذلك قواهم ولبث الجيش أمام هذا الحصن ثمانية أشهر وهو ممتنع عليه وأصر الناصر نزولا على نصح وزيره أبي سعيد ابن جامع وكان الموحدون يشكُّون في صدق نياته ولكن الناصر وضع فيه كل ثقته، وأصر الوزير ابن جامع على أن لا يتقدم جيش الموحدين قبل الاستيلاء على حصن شلبطرة[2].

وهكذا استمر الحصار طوال الصيف حتى دخل الشتاء وعانى المغاربة في الجبال الوعرة المحيطة بالحصن من قسوة الطقس الذي لا يطاق كما أودى المرض بحياة الآلاف منهم، وأخذت وسائل التموين لهذا الجيش تصعب وتتعثر يوما بعد يوم[3].

هذا ما يبين عدم وجود إستراتيجية للتموين وبهذا كُلَّت عزائم الجند و فَسدت نياتهم التى قصدوا بها الجهاد و قنط الناس من المقام[4].

3- فقدان الإنسجام بين السلطة والأندلسيين وعدم وجود تنسيق حربي كامل وهيئة قيادية مسئولة

---

[1]- نجيب زيبب : المرجع السابق، ص 399.

[2]- شوقي ابو خليل:المرجع السابق، ص 23.

[3]- الصلابي : المرجع السابق، ص 204.

[4]- خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص172.

وتمثل ذلك في مقتل القائد الأندلسي يوسف ابن قادس صاحب قلعة رباح وصهره؛ ويعتبر هذا من أكبر أسباب الهزيمة في العقاب فقد قاوم ابن قادس حصار النصارى وبعث بالكتب إلى الخليفة الناصر مستنجدا، لكن الوزير ابو سعيد كان يخفي الكتب عن الخليفة، فسلّم ابن قادس القلعة بالأمان إلى النصارى بعد أن يأس من وصول النجدة وسار لمقابلة الخليفة الناصر فمنعه الوزير ابن جامع من الدخول على الخليفة و أمر بحبسه هو وصهره ثم دخل الوزير على الخليفة فحرضه على ابن قادس وصهره واتهمهما بتسليم القلعة الى النصارى، فأمر الخليفة بقتلهما لذلك حقد جند الأندلس وقادته على الوزير والخليفة، فانسحبوا من الموقعة أثناء القتال وانجرت الهزيمة على الموحدين[1].

وفي هذا يقول الناصري :"حقدت جيوش الأندلس على ابن جامع وفسدت نياتهم على الناصر وأحسّ ابن جامع بذلك فأمر بإحضار قوادهم فحضروا بين يديه فقال إعتزلوا جيش الموحدين فلا حاجة لنا بكم كما قال الله تعالى:"لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا"[2].

" وسننظر بعد هذا في أمر كل فاجر، فلما انتشب القتال بين الجيشين فرّت قوات الاندلس وجيوشها لما كانوا قد حقدوه على ابن جامع في قتل ابن قادس أولا وتهديدهم وطرده لهم ثانيا فجروا الهزيمة على المسلمين ولا حول ولا قوة الا بالله "[3].

وبهذا أهمل الناصر الإعتماد على القوات الأندلسية الفاعلة والأكثر خبرة ودراية بقتال الإفرنج و معرفتهم بالجغرافية الأندلسية عكس ما شهدناه في معركة الأرك[4].

4- إنهيار نفسيات جيش الموحدين بسبب عدم تسديد الأرزاق[5]، حيث يقول الحميري في الروض المعطار "وخرج إليه الناصر من إشبيلية في العشرين من محرم سنة 609هـ بحشود لاقبل لهم في الغزو وقد أمسكت أرزاقهم و قتر عليهم مع ما كان من قتله لابن قادس صاحب قلعة رباح"[6].

---

[1]- هشام بورميلة : المرجع السابق، ص 295 296 .

[2]- سورة التوبة، الآية 47.

[3]- السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص 199.

[4]- خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص 173.

[5]- المرجع نفسه، ص173.

[6]- الحميري: المرجع السابق، ص137.

وفي هذا كذلك يقول المراكشي "و أكبر أسباب هذه الهزيمة إختلاف قلوب الموحدين وذلك أنهم كانوا على عهد أبي يوسف يعقوب يأخذون العطاء في كل أربعة أشهر لا زال من أمرهم ... فأبطأ في مدة أبي عبد الله هذا عنهم العطاء وخصوصا في هذه السفرة ...فنسبوا ذلك إلى الوزراء و خرجوا وهم كارهون ...فبلغني عن جماعة منهم لم يسلوا سيفا ولا شرعوا رمحا ولا أخذوا في شيء من أهبة القتال ...بل إنهزموا لأول حملة الإفرنج عليهم قاصدين لذلك"[1].

5- عدم إستشارة الخليفة الناصر للخبراء العسكريين والانفراد بالرأي الشخصي في الحرب وعدم وجود خطة واضحة وغموض في تحديد الأفضليات على مسرح المعركة وغياب الإهتمام بالروح المعنوية للمقاتلين وعدم تعزيز إرادة النصر لديهم إذ لا يمكن خلال الحروب والقتال تحقيق أي شيء إلا عن طريق الحساب والتخطيط ذلك أن العمل لا بد ان يكون متدرجا ومتابعا وأكثر إنضباطا[2].

6- نكب الخليفة الناصر خلال مسيره لهذه الغزوة بعض أشياخ الموحدين بتحريض ابن مثنى صاحب الأعمال المخزنية، فغضب أشياخ الموحدين على الخليفة الناصر وعلى ابن مثنى، فلم يخلصوا القتال و النصيحة، إنما وجدوا في هذه الهزيمة الشفاء والعزاء لذلك ربط الناس والأشياخ بين ابن مثنى والهزيمة فضربوا بها المثل، فكانوا يقولون "مدها وقل لابن مثنى يردها" يعنون بذلك صاحب الأشغال الذي نكب أشياخ الموحدين[3].

- الإغترار بالكثرة :الإعتماد على قوة العدد والعدة، فقد دخل الناصر لدين الله الموقعة وهو يعتقد لا محالة منتصرا[4] فجيشه يفوق جيش النصارى، وبذلك كان الإعتماد بكثرة جموعه والتقليل من شأن العدو كان له أكبر الأثر فيما بدا في عدم الحرص والإستعداد الجيد للقاء العدو، ومن ثم فقد كان إختراق قلب الجيش الموحدي بتلك السرعة مفاجأة هائلة لم تخطر للناصر ولا للقادة الموحدين وترى بعض الروايات الإسلامية أن نكبة الناصر في العقاب كانت عقوبة من الله على ما أبداه الناصر بكثرة جموعه وأعتقاده أنه لا غالب له من الناس فأراه الله تلك الآية ليعلم أن النصر من عند الله تعالى، وأن القدرة والحول والقوة بيد الله وحده[5]،

---

[1]-عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص322.

[2]-خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص172.

[3]- ابن عذارى المركشي: المصدر السابق، ج3، ص 262،263.

[4]- المقري : المصدر السابق، ج 4، ص 383 ؛ أنظر : السلاوي : المرجع السابق، ج 2، ص 220 .

[5]- ابن أبي زرع : المصدر السابق،ج2، ص 160 ؛ أنظر، محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص221،220.

وكأن الموحدون لم يعتبروا من موقعة حنين[1] في قوله تعالى:"لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ،وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ، إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ"[2].

نخلص من هذا كله أن واقعية الحركة والوعي داخل المجتمع الأوربي عامة والأيبيري خاصة قد ساهم في انتصار الأيبيريين لأن موازين القوة بدأت تتغير بتطور الأوربيين عن الموحدين، فكانت هزيمتهم تبعا لصيرورة تاريخية انعكست في ميدان المعركة، بالإضافة أن هذا التغير ساهم في بلورة مجموعة من الشروط والعوامل الموضوعية المتداخلة التي مهّدت لهزيمة أكبر جيش حشد في تاريخ المنطقة في ذلك الوقت في وقعة العقاب المريرة 609هـ/1212م.

[1] – راغب السرجاني : المرجع السابق،ج2، ص 616 .

[2]– سورة التوبة، الآية 25.

المبحث الثالـــث

– تداعيـات هزيمة الموحديـــن في العقـاب على الأندلس و المغرب.

1- تداعياتها على بلاد الأندلس.

2- تداعياتها على بلاد المغرب.

المبحث الثالث : تداعيات معركة العقاب على المغرب والأندلس

كانت هزيمة الموحدين في معركة العقاب (609 هـ/1212 م) إيذانا بإضمحلال دولتهم حيث تسبّبت هذه المعركة في سريان الضعف في كيانات الدولة، فكانت تلك الوقعة سببا في ضعف المسلمين بالمغرب والأندلس واستيلاء النصارى على معظم ثغورها وحصونها ولم تقم بعدها للمسلمين قائمة تُحمد .

أولا : تداعياتها على بلاد الأندلس :

1- نهاية نفوذ وسلطة الموحدين بالأندلس :

أنزلت القوات النصرانية بالموحدين هزيمة نكراء عند حصن العقاب، وتكبّد المسلمون خسائر فادحة جدّا[1]، وعاد محمد الناصر بعد الهزيمة في المعركة إلى إشبيلية ثم عبر إلى مراكش، حيث توفي في شهر شعبان عام 610 هـ، شهر كانون الثاني عام 1214م مغموما بنكبة العقاب أما الفونسو قائد النصارى في هذه المعركة قد إستكمل إنتصاراته وأستولى على الكثير من الحصون القريبة[2].

خلف محمد الناصر بعد وفاته ابنه يوسف المستنصر بالله وهو في السادسة عشر من عمره[3] نظّم شؤون الأندلس وعيّن عليها الولاة ولكن النكبات توالت على الموحدين بعد الهزيمة في معركة العقاب في ظل تخاذل زعماء البلاد وعجزهم عن رد الاعتداءات النصرانية، وتوفي الخليفة المستنصر في شهر ذي الحجة عام 620هـ هر كانون الثاني 1224 م[4] دون وريث، فبايع الموحدين محمد بن عبد الواحد[5] ابن الخليفة المنصور لكن نافسه على الزعامة عبد الله بن يعقوب؛ والي مرسية وأعلن نفسه خليفة وتلقّب بلقب العادل وذلك في شهر صفر عام 621 هـ آذار 1224م، وبايعه ولاة الأندلس الذين كانوا إخوته[6] وعين العادل أخاه أبو العلاء إدريس والي على إشبيلية، وسرعان ما نبذ هذا الوالي طاعة أخيه ودعى لنفسه وتلقب بلقب المأمون ثم ثار الموحدون على العادل فقتلوه وعينوا مكانه يحي ابن أخيه محمد الناصر وذلك عام 624 هـ/ 1227 م[7]، فلجأ المأمون إلى فرديناند الثالث ملك قشتالة

---

[1]- ابن أبي زرع : المصدر السابق، ج2، ص258 .

[2]- المصدر نفسه، ص263 .

[3]- ابن خلدون : المصدر السابق، ج 6، ص250 .

[4]- المصدر نفسه، ص 251 .

[5]- نفسه،251.

[6]- نفسه ،ص 251،252 .

[7]- ابن ابي زرع : المصدر نفسه، ص274 .

ملتمسا مساعدته مقابل دفع قدر كبير من المال ومنح النصارى امتيازات خاصة، فأمدّه بقوة عسكرية عبرت معه إلى المغرب وأصطدم بالخليفة يحيى وهزمتهم وتوفي في شهر ذي الحجة عام 629 هـ الموافق شهر أيلول 1232 م، فخلفه ابنه عبد الواحد وتلقّب بالرشيد[1].

ونتيجة لهذا الصراع الداخلي بين صفوف الموحدين، إنهار حكمهم في الأندلس فبمجرد خروج الأندلس عن سيطرة الدولة ظهرت زعامات محلية منقسمة ومتفرقة ومتحاربة سهّلت كثيرا مهمة النصارى، الذين كانوا يتوجهون وبسرعة نحو الإتحاد مدفوعين بالشعور القومي والنزعة الصليبية المشتركة ضد المسلمين في الأندلس، وهكذا أصبحت الممالك النصرانية بعد حالة التشتت والفرقة والحروب الأهلية ثلاثة ممالك فقط وهي مملكة قشتالة ومملكة أراغون ومملكة البرتغال في غرب الأندلس[2].

ومن بين أبرز الزعامات المحلية التي ظهرت بالأندلس بعد الهزيمة في العقاب نجد ابن هود وابن مردنيش وابن الأحمر اللذين استطاعوا أن يبعثوا إمارات جديدة بالأندلس.

1-1- حركة ابن هود

في الوقت الذي كانت تسقط فيه المدن والحصون الموحدية في بلاد الأندلس بيد الممالك النصرانية الإسبانية، كانت الدولة الموحدية تفقد أملاكها على يد القوى الأندلسية المحلية الطامعة في الاستقلال إذ قام محمد بن يوسف بن هود الجذامي (625-635 هـ/1237-1228م)؛ الذي ينحدر من سلالة بني هود[3] ملوك سرقسطة[4] بالتمرد في مرسية سنة 616 هـ/1219 م[5] وأتخذ من حصن الصخيرات[6] ملجأ له ومقرا لقيادته ورفع ابن هود شعار الاستقلال عن النصارى والموحدين معا وكان ذلك سببا مباشرا

---

[1]- ابن خلدون : المصدر السابق، ج6، ص ص252-254 .

[2]- صديقي عبد الجبار : سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف الدكتور مكيوي محمد، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2013- 2014، ص 60 .

[3]- ينحدرون من قبيلة جذام العربية إستقلوا بسرقسطة سنة 405هـ/1041م بقيادة المنذر بن يحيى ، وأصبحوا من ملوك الطوائف بالأندلس وكان من أشهرهم المقتدر بالله وابنه يوسف المؤتمن وابنه المستعين . ابن خلدون: المصدر نفسه، ج4، ص 163،164.

[4]- مدينة كبيرة على نهر ابرة وترتفع على البحر نحو 184متر وتحدق بها البساتين، فتحها العرب سنة 94هـ/712م وأتخذوها قاعدة من قواعد الأندلس. الحميري: المصدر السابق، ص 96،97 .

[5]- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الانشا، دط، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة ،مصر 1963م، ج5، ص260 .

[6]- الصخيرات أو الصخرة حصن صغير على نهر مرسية جنوب غرب الأندلس، الحميري:المصدر نفسه، ص 118،119.

في دخول الكثير من أهل الأندلس تحت طاعته[1]، وكان أول ظهور سياسي لابن هود في رمضان من سنة 625 هـ / آب 1228 م حيث بايعه أتباعه على الطاعة والولاء فذاع صيته وأزداد عدد الموالين له ورفع لواء الجهاد، وأعلن التبعية للدولة العباسية التي أقرته وقلّدته حكم البلاد ووصله كُتابها في سنة 629 هـ/1232 م، أو سنة 631 هـ/1234 م، وصار الحاكم الفعلي للأندلس معلنا الحرب على الموحدين والنصارى معا[2]، ومن أجل إضفاء الشرعية السياسية على حركته دعى للخليفة العباسي المستنصر (ت 660 هـ/1261 م)[3]ببغداد، ولقب ابن هود نفسه بالمتوكل على الله وأتخذ السواد شعارا له[4]، تمكن ابن هود من انتزاع المنطقة الجنوبية للأندلس من أيدي الموحدين، وأعلن أهل إشبيلية ومارده وجيان وبطليوس إنضمامهم إليه، وأضطر ابن هود إلى مواجهة العدوان في آن واحد الموحدين والنصارى الأسبان في سبيل ضمان إستمرار وبقاء إمارته الناشئة[5]، لكن الأخطر من ذلك هو ظهور أطراف منافسة له في الساحة الأندلسية متمثلة في ثورات ابن مردنيش[6] في بلنسية[7]، ومحمد بن يوسف بن الأحمر[8]، وقُتل ابن هود سنة 635 هـ /1238 م على يد عامله ابن الرميمي في مدينة المرية لتسقط أملاكه في يد بني الأحمر والنصارى[9] .

---

[1]- عامر أحمد عبد الله حسن : دولة بني مرين ،تاريخها وسياساتها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668-869هـ/1269-1465م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ ،إشراف عدنان ملحم جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس فلسطين، 1424هـ/2003م، ص 70.

[2]- هشام أبورميلة : المرجع السابق، ص ص 213- 216 .

[3]- ابن خلدون : المصدر السابق، ج4، ص 168 .

[4]- عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص 335 .

[5]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص 31.

[6]- هم حكام بلنسية في أواخر عهد الموحدين بالأندلس وهم أهل عصابة وأولي بأس وقوة وأوّل سادتهم عبد الله بن سعيد بن مردنيش الجذامي (ت544هـ/1149م)، ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 168.

[7]- نفسه، ص 169،168.

[8]- أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر الخزرجي الانصاري من ولد أمير سعد بن عبادة ولد في أرجونة من أعمال ولاية جيان سنة 595هـ/1198م وترى تربية دينية وقيادية إستقل بغرناطة سنة 635هـ/1237م وتوفي سنة 671هـ/1272م. ابن الخطيب : اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ط2، دار الأفاق الجديد، بيروت لبنان، 1978م، ص ص33-43.

[9]- ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السّكان، تحقيق: محمد كمال شبانة ، دط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة، دت، ص19.

1-2- حركة ابن مردنيش

شهدت الأندلس ظهور ثائر آخر لا يقل حماسة عن ابن هود وهو ابن مردنيش والذي كان وزيرا لوالي بلنسية الموحدي السيد أبو زيد والتي سرعان ما سرت فيه روح الثورة والاستقلال بعد هزيمة واليها الموحدي على يد ابن هود، فبايع أهلها ابن مردنيش في أوائل ربيع الأول من سنة 626 هـ/1229م، ليدخل ابن مردنيش في حرب مع ابن هود[1].

1-3- حركة ابن الأحمر

ذلك الثائر الجديد الذي ظهر بالأندلس وإستطاع في بداية مسيرته أن يجمع حوله الأتباع ويحصل على طاعة عدة مدن لاسيما وسط الأندلس، وهذا قبل سنة 630 هـ، وقد تواجه ابن الأحمر مع ابن هود الذي عده خارجا عن طاعته، لكنه -اي ابن هود- هزم من أمامه ثلاث مرات آخرها سنة 633 هـ أو 634 هـ[2] .

وبمقتل ابن هود في سنة 635 هـ/1238 م خلا الجو لابن الأحمر، وأطاعته غرناطة واستدعاه أهلها، وكان دخولها في أواخر رمضان من سنة 635 هـ/مارس 1238م،وصارت حاضرة مملكته وأنظمت إليها مناطق أندلسية أخرى جنوبي الجزيرة وشرقها[3].

وبقيام مملكة غرناطة واشتداد عودها يسدل الستار بصفة نهائية على حكم الموحدين في الأندلس، والتي سيتردد أهلها بين البقاء في هذه المملكة وبين مفارقة الوطن إلى المشرق والمغرب الإسلامي[4] .

2- تسارع حركة الإسترداد وسقوط كبريات المدن والحواضر الأندلسية

كانت تبعات سقوط السلطة الموحدية بالأندلس بعد الهزيمة الكبيرة في موقعة العقاب سنة 609 هـ/1212 م الثقيلة الحمل والمزرية على المسلمين، فقد تغيرت الظروف والمعطيات كثيرا في أرض الأندلس، حيث غابت سلطة موحّدة تجمع كلمة المسلمين بل ظهرت زعامات محلية منقسمة ومتحاربة مع بعضها البعض، وفي الوقت نفسه عرف النصارى إتحاد وتقارب بين مختلف الممالك

---

[1]- عمارة سيدي محمد : المرجع السابق، ص 37 .

[2]-لسان الدين ابن الخطيب : الإحاطة،ج2 ، ص ص 92-101 .

[3]- المصدر نفسه، ص 100،101 .

[4]- عمارة سيدي محمد : المرجع نفسه ، ص 38 .

النصرانية بالأندلس حيث أتحدت مملكة قشتالة مع مملكة ليون وأصبحت بذلك ثلاثة ممالك نصرانية كبرى قشتالة وأراغون والبرتغال في مواجهة ممالك إسلامية ضعيفة ومشتتة.

ساهمت هذه الظروف إلى التمهيد لمشروع الاسترداد الذي راود النصارى منذ عقود من الزمن وأصبحت الفرصة سانحة لتسديد الضربات القاتلة للبقية الباقية من المسلمين في الأندلس[1]، حيث تعرضت بلاد الأندلس الإسلامية وحواضرها الشهيرة إلى هجمات الممالك النصرانية المركزة مما أدى إلى سقوط معظم قواعدها الكبرى في نحو ثلاثين سنة فقط (627 /655 هـ)[2]، وذلك في سلسلة مروعة من الأحداث والفتن والمحن، وفي الوقت الذي إشتغل فيه زعماء الأندلس المتناحرون بالصراع على الحكم، كان النصارى يسيرون وفق خطة محكمة لاحتلال أراضي الأندلس الجريح في ثلاثة مناطق[3] هي :

2-1- سقوط البلاد الإسلامية في شرق الأندلس

لقد كانت الناحية الشرقية الأندلسية أضعف نواحي الثغر منذ سقوط سرقسطة سنة 512 هـ/1118 م، ورغم التماسك الذي بدا إلى حين على هذه الجهة إلّا أنّ تنافر الموحّدين على الحكم عجّل بتصدّعها النهائي[4]، ومع إستقرار الأوضاع الداخلية لمملكة أراغون عمد ملكها خايمي الأوّل[5] وبمباركة الكنيسة إلى تسديد أولى ضرباته المميتة إلى حواضر المسلمين الشرقية ومنها[6].

2-1-1- جزر البليار (الجزائر الشرقية) :

خرجت الحملة النصرانية قاصدة ميورقة في 14 شوال سنة 626 هـ الموافق للخامس من سبتمبر من سنة 1229 م، بقوات ضخمة ضمّت ألفا وخمسمائة فارس وعشرين ألف راجل وستة

---

[1]- صديقي عبد الجبار : المرجع السابق ، ص 161.

[2] - أنظر: الملحق رقم 05، ص86.

[3]- ابن الخطيب : الإحاطة، ج 2 ، ص 100،101 .

[4]- ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج 2 ، ص 303،304 .

[5]- ملك أراغون منذ 1214م بعد أن ورث العرش عن أبيه بيدرو وعمره لم يتجاوز سبع سنوات عرف بشدة عدائه للمسلمين ودوره الكبير في تحريك عجلة حروب الإسترداد نحو القواعد الإسلامية الشرقية وعلى رأسها بلنسية . يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج2 ، ص167 .

[6]- عمارة سيدي محمد : المرجع السابق ،ص 44 .

عشر ألفا من رجال البحرية وعسكر الماء[1]، وتواجه المسلمون والنصارى في قتال مرير ثم أستطاع النصارى بعد ذلك أن يطبقوا الحصار الخانق حول مدينة ميورقة، وفي يوم السبت 12 صفر سنة 629 هـ الموافق 29 ديسمبر 1229 م، إقتحم النصارى مدينة ميورقة وألتحم المسلمون معهم في قتال شديد أبدى فيه أهل مدينة ميورقة شجاعة وبسالة في الدفاع عن مدينتهم وأستمر القتال إلى يومي الأحد والاثنين لكن الغلبة كانت للنصارى وبذلك سقطت المدينة بعد قرابة أربعة أشهر من الحصار وأعتلى النصارى المسلمين قتلا وأسرا، فبلغ عدد القتلى أربعة وعشرين ألفا وقيل ثلاثين ألفا وقيل خمسون ألفا[2] ، ودخل ملك أراغون خايمي الاول المدينة يوم الثلاثاء 15 من صفر من سنة 627 هـ الموافق الفاتح من شهر يناير من سنة 1230 م[3]، وبعد الفروغ من ميورقة، جاء دور جزيرة يابسة التي نزل بها النصارى وهي صغرى الجزائر الثلاثة في أوائل من محرم من سنة 632 هـ الموافق لشهر أوت سنة 1235 م، وبعد مصادمات مع أهل الجزيرة استمرت خمسة أشهر وقيل أربعة أشهر، وبعدها استسلمت يابسة للنصارى[4]، ولما تم لهم المواراد من حملتهم إقتسم النصارى أراضي الجزيرة بل حتىّ سكانها في فاجعة أخرى للمسلمين في الأندلس[5]، وهذه جزيرة منورقة ثاني أكبر جزر البليار التي لاقت مصير أختيها حيث إستطاع النصارى السيطرة على الجزيرة واحتلال منورقة بعد أحداث مريرة يطول ذكرها في سنة 686 هـ الموافق 1287 م[6] .

بعد أن انتهى خايمي الأول ملك أراغون من أمر ميورقة، توجه للعناية بأمر بلنسية كبرى قواعد المسلمين في شرق الاندلس .

2-1-2- بلنسية :

وهي من أهم قواعد الأندلس الشرقية متمكنة الحضارة جليلة القدر، هاجمتها الجيوش النصرانية في حملة صليبية كبيرة أعلنتها الكنيسة.

بدأت الحملة النصرانية على بلنسية في أواخر سنة 631 هـ /أوائل سنة 1233 م وأثناء زحف ملك أراغون خايمي الأول على المدينة تمكّنت جيوشه من الإستيلاء على مدن وحصون قريبة منها

---

[1]- محمد أحمد أبو الفضل : شرق الأندلس في العصر الإسلامي (516-686هـ/1121-1287م)، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دط ،دار الجامعة الإسكندرية ، مصر، 1996، ص ص 198-200 .

[2]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق،ع3، ق2، ص 407 .

[3]- ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج 2، ص318 .

[4]- عمارة سيدي محمد : المرجع السابق ، ص45 .

[5]- المرجع نفسه، ص 45 .

[6]- عصام سالم يسالم : المرجع السابق ، ص ص 449-451.

شفيت وبريول وكويفاس والمصورة وسلطوانة ومشرويف، وقد تمت هذه التوسعات في (632 هـ/1234 م)، وفي هذه السّنة أيضا وقع الحصن المنيع أنيشة[1] الواقع بالقرب من بلنسية على بعد أميال فقط من مدينة بلنسية على يد الأرغوانيين[2]، وذلك بعد هزيمة ساحقة تعرضت لها جيوش المسلمين وكان ذلك نذيرا لسقوط المدينة التي فرض عليها الحصار الخانق من طرف الأرغوانيين الذي بدأ عليها في الخامس من شهر رمضان سنة 635 هـ الموافق أبريل سنة 1238 م[3]، وأستمر إلى غاية يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة 636 هـ الموافق أكتوبر من سنة 1238 م، واشتدّت هجمات النصارى على المدينة حيث إستخدموا المنجنيقات ودافع أهل المدينة بكل شجاعة عن بلادهم، وعندما أشتد البلاء والكرب على أهلها راسل أميرهم سرّا ملك أراغون بغرض المفاوضة وتسليم المدينة بعد استنفاذ كل السبل لردّ العدوان[4]، وتمّ تسليم مدينة بلنسية صلحا في شهر صفر سنة 636 هـ الموافق لـ أكتوبر سنة 1238 م[5]، وفي صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر سنة 636 هـ الموافق للتاسع من أكتوبر من سنة 1238 م، دخل خايمي الأول ملك أراغون بمن معه إلى المدينة وحُوّلت مساجدها في الحين إلى كنائس بل وطُمست قبور المسلمين، وهي السّيرة المتّبعة من النّصارى كلّما دخلوا مدينة إسلامية وبلغ عدد النازحين من مدينة بلنسية زهاء خمسين ألفا في نحو خمسة أيام[6]، وعلى إثر سقوط هذا الثغر الإسلامي العظيم في شرق الأندلس تابع الملك خايمي الأول حربه وغزواته لباقي الأراضي الإسلامية في شرق الأندلس والقريبة من مدينة بلنسية فاستولى على جزيرة شقر[7]، ثم جاء الدّور على جزيرة دانية ومدينة البيضاء التي دخلتها جيوش النصارى في ذي الحجة من سنة 641 هـ والموافق لـ مايو 1244 م[8]، ثم سقطت شاطبة في أواخر صفر من سنة 644 هـ/1246 م صلحا ثم نقض النصارى العهد وطردوا المسلمين منها في شهر رمضان سنة 645 هـ[9] ، ثم تلتها سقوط مدينة لقنت

---

[1]- هو موضع بالقرب من بلنسية ، وعلى جبل أنيشة كانت الوقيعة بين المسلمين من أهل بلنسية وبين النصارى أنظر : لسان الدين ابن الخطيب : الإحاطة ،ج2، ص 303 .

[2]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ،ع3 ، ق2 ، ص 439،440 .

[3]- صديقي عبد الجبار ، المرجع السابق ، ص162 .

[4]- يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج2 ، ص 176 ؛ أنظر، راغب السرجاني : المرجع السابق،ج2، ص 638 .

[5]- الحميري : المصدر السابق ، ص 22 ؛أنظر : المقري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 472،473 .

[6]- الحميري ، المصدر نفسه، ص ص 97-101 .

[7]- صديقي عبد الجبار ، المرجع نفسه، ص 166 .

[8]- ابن الأبار : الحلة السيراء، ج2، ص 303 .

[9]- المقري : المصدر نفسه، ص 472.

في سنة 645 هـ/1246م[1]، ليأتي الدور على مدينة جيان التي سقطت هي الأخرى بيد الأرغوانيين سنة 643 هـ/1245م[2] ، ثم جاء الدور على مدينة مرسية التي سقطت هي الأخرى أيضا بيد الأرغوانيين صلحا بعد محاصرتها ودخلها الملك خايمي الأول سنة 664 هـ الموافق لشهر فبراير 1266 م[3].

وهكذا فقد توالى سقوط قواعد شرق الأندلس بيد الأرغوانيين بالتعاون مع القشتاليين بعد بلنسية خلال أعوام معدودات وهو ما أصبغ على ملكهم خايمي الأول لقب الفاتح[4].

ومع ضياع شرق الأندلس أندفع المسلمون إلى النزوح باتجاه البقية الباقية من قواعد الأندلس خاصة إلى الجنوب منها والكثير منهم قرروا المغادرة فعبروا البحر نحو بلاد المغرب الإسلامي[5].

2-2- سقوط مدن وسط وغرب الأندلس

لقد شهدت هذه المنطقة الفسيحة من الأندلس سقوط أهم الحواضر الإسلامية الباقية وكان لذلك الأثر البالغ على بقاء المسلمين ومصيرهم، وكان مما ضاع في هذه الجهة:

2-2-1- قرطبة

لقد كان ملك قشتالة وليون فردناند الثالث يطمح ويتمني النفس منذ أن وحّد المملكتين ليون مع قشتالة بالاستيلاء على العاصمة القديمة للخلافة الإسلامية لمكانتها التاريخية والعسكرية، وفي سبيل تحقيق هذه الرغبة عمد إلى إقتطاع أراضي المسلمين شيئا فشيئا مستغلا الحرب القائمة بين ابن هود وابن الأحمر على الحكم[6]، فاستطاع أن يستولي على عدد من الحصون والقلاع واستولى على مدينة أبدة (631 هـ/1232 م)[7] .

تحرك النصارى صوب مدينة قرطبة في أواخر ربيع الثاني من سنة 633 هـ أوائل سنة 1236 م[8]، وأشتد وقع الحصار على قرطبة لعدة أشهر، وبعد إستغاثة أهل قرطبة بابن هود الذي كان قد إستقل بدولته جنوب وشرق الأندلس والذي لم يعطي إهتماما لهذه الاستغاثات بسبب كونه كان

---

[1]- بينها وبين دانية على الساحل سبعون ميلا لها قصبة منيعة جدا . الحميري : المصدر السابق ، ص 511،512.

[2]- راغب السرجاني : المرجع السابق، ص 629 .

[3]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص 463 .

[4]- يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج2، ص 179 .

[5]- عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص 52.

[6]- ابن خلدون :المصدر السابق، ج 4، ص 219 .

[7]- يوسف أشباخ : المرجع نفسه، ص 183 .

[8]- محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص 418 ؛أنظر، يوسف أشباخ : المرجع نفسه، ص 183 .

منشغلا بحربه مع ابن الأحمر هذا الأخير كان قد إستقل أيضا بجزء آخر من بلاد الأندلس، ورغم بسالة أهلها المدافعين عنها وصبرهم إلاّ أن نفاذ الأقوات والقوات بعد تخاذل أميرهم ابن هود كان السبب الرئيسي لفشل مقاومة المدينة[1]، وأنتهى الأمر أخيرا وكعادة جل مدن الأندلس بعد موقعة العقاب إلى التفاوض بشأن تسليم المدينة إلى السادة الجدد مقابل الخروج بأمن وسلام .

في هذه الظروف سقطت قرطبة وفارق أهلها المفجوعين مدينتهم في يوم الأحد الثالث والعشرون من شهر يوليو سنة 1236 هـ، ورفع الصليب فوق المسجد الجامع لقرطبة في إشارة إلى إنتصار النصارى على المسلمين[2]، وبذلك سقطت حاضرة الإسلام بالأندلس[3] بعد أن ظلت منارةً للخلافة الإسلامية ومشعلاً للحضارة الإنسانية زمنا أمتد خمسمائة وعشرين سنة[4]، وجاء في ترجمة آخر قضاة مدينة قرطبة وهو الربيع بن عبد الرحمان بن ربيع الأشعري لدى مغادرته لقرطبة نحو إشبيلية ما نص :" إنه ما هالة عظيم الرزء في مفارقة المال والوطن عند الحاجة إليه من سن الشاقة ولا بلغ لديه من ذلك مبلغ الرزء فيما تلف له من كتبه[5] " .

هكذا عادت إلى قرطبة عاصمة بني أمية كلمة الكفر من جديد[6]، فإن النصارى ما كادت أقدامهم تطأ المدينة الخالدة حتى رفع الصليب على قبة صومعة جامعها الأعظم وحُوّل في الحال إلى كنيسة[7].

وبعد الانتهاء من أمر قرطبة ألتفت فرناند الثالث ملك قشتالة إلى غرناطة الإمارة الناشئة في ظلّ حكم بني الأحمر وأنتزع منها حصن أرغوتة ومدينة جيان بعد أن عقد معاهدة صلح مع بني الأحمر 643 هـ/1244 م والتي أصبح بموجبها ابن الأحمر تحت حماية ملك قشتالة، وبذلك بلغ الملك فرناند الثالث ذروة القوة وأصبحت الأندلس الجنوبية كلها تحت رحمته[8].

---

[1]- علي الحجي، المرجع السابق، ص 514 ؛ أنظر، راغب السرجاني : المرجع السابق،ج2، ص 626 .

[2]- صديقي عبد الجبار ، المرجع السابق، ص 161 .

[3]- ابن خلدون : المصدر السابق، ج 4 ، ص 179 .

[4]- راغب السرجاني، المرجع نفسه، ص629 .

[5]- ابو الحسن بن عبد الله المالقي الأندلسي : تاريخ قضاة الأندلس، وسماه كتاب المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط5 ، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت لبنان، 1405 هـ/1983 م، ص 118 .

[6]- ابن خلدون : المصدر نفسه، ص ص 217-219 .

[7]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع 3، ق 2، ص 424،425 ؛ أنظر، يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج2، ص 186،187 .

[8]- ابن الخطيب : الإحاطة، ج1، ص 551 .

2-2-2- إشبيلية

بعد أن استولى الملك القشتالي فرناند الثالث على قرطبة حاضرة الإسلام بالأندلس ودخلت غرناطة عاصمة إمارة ابن الأحمر في نفوذه أخذ يتأهب لضم إشبيلية؛ أعظم قواعد الأندلس ذلك لأهميتها الكبيرة والدلالة الرمزية التي تعنيها بحكم أنها كانت عاصمة الموحدين في الأندلس .

بدأ فرناند الثالث حملته الكبيرة على إشبيلية باستيلائه على قواعدها الأمامية[1]، حيث تمكن من الإستيلاء على قرمونة إحدى أهم الحصون الأمامية لإشبيلية، ومن ثم توجه إلى لورة وأستولى عليها ثم زحف على قنطانة الواقعة شمال إشبيلية، وقصد بعد ذلك غليانة ثم بلدة القلعة وتمكن من إخضاعها جميعا وذلك بمساعدة ابن الأحمر الذي كان له الدور الفعال في سقوط كل هذه الحصون بيد النصارى وبهذه السرعة[2].

بدأ النصارى في تطويق المدينة بداية من سنة 644 هـ الموافق 20 أغسطس سنة 1247 م برا وبحرا، واستمر الحصار ثمانية عشر شهرا، وكان ابن الأحمر أمير غرناطة قد دعّم النصارى في حصارهم لمدينة إشبيلية، ورغم المقاومة الشديدة التي أبداها أهل إشبيلية في الدفاع عن مدينتهم ولمّا يأس أهل المدينة من النجدة الخارجية[3] ومع إشتداد الحصار المطبق عليهم إضطروا إلى التفاوض مع النصارى والتي بموجبها تم تسليم مدينة إشبيلية صلحا[4]، وهكذا فتحت مدينة إشبيلية العظيمة أبوابها للسادة الجدد وكان ذلك سنة 646 هـ الموافق 23 نوفمبر سنة 1248 م[5]، ودخل النصارى المدينة يتقدمهم ملكهم فرناند الثالث في موكب ملوكي فخم وحوّل مسجد إشبيلية إلى كنيسة[6].

كان لسقوط مدينة إشبيلية وقع عظيم في الأندلس فقد كان نادرا سقوط سائر القواعد الغربية وبذلك إستطاع فرناند الثالث بسط نفوذه على مجمل القواعد بهذه المنطقة بضمه لشريس و تادمس وسلونة وأركس، والبريجة، روطة ولبلة[7]، وطويت بذلك صفحة حكم المسلمين لإشبيلية بعدما إستمر

---

[1]- يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج 2 ، ص ص 192-197 .

[2]- محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق، ع3 ، ق2 ، ص 477 .

[3]- يوسف أشباخ : المرجع نفسه، ص190 ؛ أنظر، محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص ص 484-487 .

[4]- المقري :المصدر السابق ،ج 4 ، ص ص 472-474.

[5]- الحميري : المصدر السابق، ص 55 .

[6]- عبد الله عنان : المرجع نفسه ، ص 486 .

[7]- يوسف أشباخ : المرجع نفسه ،ص ص 184-198 .

خمسمائة وسبعة وثلاثين عاما وخرج أهلها نحو ثلاثمائة ألف مسلم وقيل أربع مائة ألف وقيل نصف مليون نازح[1].

ثانيا : تداعيات المعركة على بلاد المغرب

1- بروز الثورات وحركات التمرد والنزعات الاستقلالية

في عهد الخليفة المأمون بن الناصر ثار بجبال غمارة سنة 625 هـ/1227م، محمد بن أبي الطواجين المتنبي ، الذي ارتحل إلى سبتة وادّعى النبوة في سنة 629 هـ/1231م[2]، وفي الوقت الذي خرج على المأمون أخوه أبو موسى عمران بن المنصور بن يعقوب بمدينة سبتة وتسمى بالمؤيد قامت قبائل مكلاثة بمحاصرة مكناسة[3]، وقام عمران هذا بتسليم سبتة لأبن هود الغرناطي مقابل توليته إمارة المرية[4] .

ثارت قبائل الخلط بقيادة مسعود بن حميدان في زمن الخليفة الرشيد سنة 632 هـ/1253 م وقام رجالها بالاستيلاء على العاصمة مراكش مما استدعى جهود كبيرة من أجل إخماد هذه الثورة، وفي سنة 651 هـ/1253م، فرّ الخليفة المرتضي علي بن بدر من بني باداسن ولحق ببلاد السوس وتحصن ببعض جبالها وأستولى على تارودانت وعلى بعض بسائط بلاد السوس بمشاركة القبائل الشبانات وذوي حسان من عرب المعقل[5].

أما على صعيد النزاعات الإستقلالية، ففي بداية عهد الخليفة الموحدي المنتصر يوسف بن الناصر تأخرت بيعة الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص[6] (618هـ/1221م) والي الموحدين على إفريقية إحتجاجا على صغر سن الخليفة، ومن ثم عاد الحفصيون وبايعوه بعد تدخل من الوزير بن

---

[1]- عمارة سيدي محمد : المرجع السابق، ص 57 .

[2]-السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص60.

[3]- مدينة في بلاد البربر بينها وبين مراكش أربعة عشر مرحلة نحو الشرق، وهي عبارة عن مدينتين صغيرتين واحدة قديمة والأخرى بناها يوسف بن تاشفين (453-500 هـ/1061-1106 م)، تبعد عن فاس مرحلة واحدة. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت 626هـ) : معجم البلدان، ط2 ،دار صادر بيروت ، 1415هـ،ج8، 306-307.

[4]- ابن خلدون : المصدر السابق ،ج6، ص254 .

[5]- السلاوي: المرجع نفسه، ص 253،254 .

[6]- عبد الواحد بن عمر بن أبي حفص الهنتاتي، مؤسس دولة الحفصيين في إفريقيا الشمالية، ولي تونس من قبل الموحدين سنة 603 هـ/1206 م ،إلى أن توفي سنة 618 هـ/1221 م . الزركلي : المصدر السابق ، ج4، ص176.

الجامع، فكانت هذه أولى بوادر التمرّد الحفصي في المغرب الأدنى على الدولة الموحدية في مراكش إلى أن جاءت سنة 627هـ/1230م حيث أستبد الأمير أبو زكرياء بن الشيخ أبي محمد بن أبي حفص الهنتاتي (647 هـ/1250 م) بإفريقية وخلع طاعة الموحدين[1].

أما بني عبد الواد بزعامة يغموراسن[2]بن زيان فقد إستقلوا بالمغرب الأوسط وجعلوا من تلمسان عاصمة لهم (633هـ/1235م)[3]، وفي سنة (668هـ/1269م) فتحت مراكش على يد بني مرين وقامت دولتهم في المغرب الأقصى[4]، وبذلك فقدت الدولة الموحدية سيادتها على أراضيها وأملاكها على المغرب والأندلس وأفل نجمها بعد أن امتدت سلطتها مابين الصحراء الكبرى جنوبا والبحر المتوسط شمالا ومابين الصحراء الليبية شرقا والأطلسي غربا إضافة إلى الأندلس التي امتدت أملاك الموحدين فيها إلى ما وراء نهر الوادي الكبير[5] .

2- سقوط الدولة الموحدية[6]

إنّ السلطة الموحدية ضعفت بعد هزيمتهم في موقعة العقاب، وخسارتهم المتتالية أمام قوة بني مرين وقلة إهتمامهم بتقوية الجيش بعد وفاة الناصر الموحدي (595-610هـ/1199-1213م)[7] وإهمال الموحدين لدورهم الديني[8]، يضاف إلى ذلك أن الموحدين منذ قيامهم بزعامة المهدي ابن تومرت (515-522هـ/1121-1128م)[9]، لم يضعوا نظاما ثابتا للحكم مما أدى ذلك إلى المنافسة فيما بينهم

---

[1]- السلاوي : المرجع السابق، ج 4، ص 240 .

[2]- يغمراسن بن زيان : هو فارس زناتة الأشهر ومؤسس دولة بني عبد الواد (بني زيان) بتلمسان سنة 633 هـ/1235 م، ولد سنة 600 هـ/ 1203 م بويع بتلمسان سنة 631 هـ/ 1233م ،أي قبل قيام الدولة وتوفي سنة 681 هـ/1282 م، أنظر : ابن الأحمر ابو الوليد إسماعيل (ت 810 هـ/1407 م) : روضة النسرين في دولة بني مرين، دط، مطبوعات القصر الملكي، الرباط دت، ص45.

[3]- ابن خلدون : المصدر السابق، ج 7، ص 79 .

[4]- الوزان (حسن بن محمد الفاسي) : وصف إفريقيا، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 م، ج1،ص135.

[5]- يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج 2، ص 49،50 .

[6] - أنظر الملحق رقم 06، ص87.

[7]- إبراهيم حركات : المرجع السابق، ج2، ص 116 .

[8]- دنيز بولم : الحضارات الافريقية، ترجمة نسيم نصر، دط ،بيروت، منشورات عويدات، 1984 م، ص 66 .

[9]- البيدق : المصدر السابق، ص 73 .

للوصول إلى السلطة الأمر الذي دفع بعض ولاة الأقاليم إلى الإستقلال بولايتهم[1]،كالحفصيين بالمغرب الأدنى وبني زيان بالمغرب الأوسط بتلمسان وبني مرين بالمغرب الأقصى بفاس[2] .

الأمر الذي جعل قبيلة بني مرين تستفيد من هذا الفراغ السياسي فقد كانوا قبائل تنتقل مابين بلاد القبلة من زاب إفريقية إلى سجلماسة إلى ملوية، وربما وصلوا في بعض الأحيان إلى بلاد الزاب[3] بالمغرب الأوسط"متنقلين في تلك القفار والصحاري لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تنالهم بمظيمة ولا يؤدون ضريبة ولا يعرفون تجارة ولا حرث، وإنما شغلهم الصيد وطراد الخيل والغارات على أطراف البلاد عدا طائفة يدخلون بلاد المغرب في زمن الصيف، فيرعون به أغنامهم ويكتالون منه مريتهم "[4]، فإذا دخل فصل الصيف اجتمعوا في بلدة أجر سيف.

وإن إنتقال المرينيين إلى المغرب وحسبما جاء عند ابن أبي زرع كانت نتيجة خلاف وقع بينهم وبين بني عبد الواد وبني واسين بسبب إمرأة وذلك في بداية القرن السابع الهجري في سنة 601هـ/1204م فانتقلوا من مواطنهن الأصلية بين تاهرت[5] وتلمسان إلى الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى، حيث أقاموا ينتجعون ويمتارون على عادة البدو الرحل[6] وسكنوا منطقة الزاب بجبل يقال له أيكيجان[7] وكان الموحدون كثيرا ما يستعينون بهم في الخدمات المخزنية ويرسلونهم إلى الأندلس للجهاد فلما حل الضعف بالدولة الموحدية بعد موقعة العقاب تشوق بنو مرين إلى الملك، فأرسلوا بمن يثقون بهم من أحلافهم يبلغونهم بوضع البلاد وفعلا بدور مهم في إستقصاء المعلومات عن موقف الموحدين

---

[1]- إبراهيم حركات : المرجع السابق، ج2، ص 11 .

[2]- نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي : الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685-706هـ/1286-1306م، دراسة سياسية حضارية، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف عبد الواحد ذنون طه، جامعة الموصل العراق، صفر1425هـ/نيسان2003م، ص 85.

[3]- هي منطقة واسعة كانت تشمل المساحة الواقعة في جنوب جبال الأوراس وتشمل بسكرة وما حولها ، واقعة في المغرب على بلاد الصحراء في البلاد الجليدية من عمل إفريقية ومن مدنها المسيلة ونقاوس وطبنة وهي بلاد واسعة تتضمن دول وأقاليم وقاعدته طبنة . الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 365 .

[4]- أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية، تحقيق : عنان محمد آل طعمة، دط، دار أسعد الدين مطبعة الشام، دمشق، 1992م، ص 31 .

[5]- مدينة مشهورة من مدن المغرب الاوسط، على طريق المسيلة من تلمسان وكانت تاهرت فيما سلف مدينتين إحداها قديمة والأخرى حديثة وهي تقع في سفح جبل يسمى قزول وعلى نهر يأتيها من ناحية الغرب . الحميري: المصدر نفسه ، ص 126 .

[6]- ابن ابي زرع : المصدر السابق، ج2، ص 182 .

[7]- جبل أيكوجان يقع بين سطيف وقسطنطينة وفيه حصن ومعقل وفيه منازل بني حماد وقبائل كتامة . الحميري : المصدر نفسه ص 71.

بالمنطقة بالمغرب الأقصى تحديدا ومدى الضعف الذي وصلوا إليه، ثم أرسلوا الأخبار إلى أحلافهم المرينيين فاستغل المرينيون ضعف الموحدين وانتقلوا مسرعين إلى المغرب الأقصى فانتشرت قبائلهم في بلاد المغرب كالجراد وملأت مللهم وعساكرهم النجود والوهاد[1]، ويعبر عن ذلك اللزوزي في أرجوزته:

في عام عشـــــرة وستمئـــــة أتوا إلى المغرب من البرية

جاءوا من الصحراء والسباسب على ظهور الخيل والنجائب[2]

ولقد تعاقب على بني مرين قبل دخولهم المغرب الأقصى أمراء كثيرون أولهم محمد بن وزير بن فجوس بن كرماط بن مرين في عهد الدولة المرابطية، وكان أول صدام للمرينيين مع الموحدين في فحص بن ميسون في شهر جمادى الثانية من سنة (540هـ/1145م) ، حيث انهزموا وقُتل أميرهم وحمل رأسه إلى عبد المؤمن بن علي الموحدي (524-558هـ/1139-1163م) ، وفي عهد الأمير المريني عبد الحق بن محيو الذي كانت إمارته بالمغرب ثلاثة أعوام وستة أشهر، أغار فيها على جميع بوادي المغرب وضيّق على الموحدين فاشتكى الناس إلى الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف الثاني الملقب بالمستنصر بالله (611-620هـ/1214-1224م)، فتهيّأ الموحدون لمواجهة المرينيين فلمّا سمع المرينيون بذلك إستعدوا لقتالهم، والتقى الجمعان بالقرب من واد نيكور وهم يتحاربون لمدة ثلاثة أيام وبعدها طلب قائد الجيش الموحدي الحسن بن واندين من والي فاس إسحاق بن يوسف مساعدته فساعده بقوة مكوّنة من عشرة ألاف مقاتل[3]، إلتقا الجمعان عند واد نيكور بفحص الواد من سنة (613هـ/1216م)، وبعد اصطدام الطرفين مُنيّت قوة الموحدين بهزيمة نكراء واضطر الموحدون للرجوع إلى مدينة فاس، فسمي ذلك العام بالمشعلة[4].

---

[1]- ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 182 .

[2]- اللزوزي أبو فارس عبد الواحد بن عبد العزيز (667هـ/1297م) : نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، دط، الرباط المطبعة الملكية، 1963، ص 68 .

[3]- نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي : المرجع السابق، ص9 .

[4]- هو نبات سمي بهذا عام (613هـ/1216م) لأن الموحدين كانوا واضعين على رؤوسهم ورقة من هذا النبات أثناء وصولهم إلى فاس هاربين من الجيش المريني . مراجع عقيلة الغناي : المرجع السابق، ص 267-268.

وفي عهد الأمير المريني أبا بكر يحي بن عبد الحق، وكان ذا نجابة وإقدام وبسالة وهو الذي رفع راية بني مرين إلى مرتبة الملك إذ ملك الحصون وفتح مكناس[1] سنة (643هـ/1245م)، ثم أرسل ببيعة المرينيين إلى الأمير أبو زكريا يحي الأول الحفصي (628-647هـ/1230-1249م) في تونس[2]،ثم أنتزع حصون ملوية ثم سيطر على فاس سنة (646هـ/1248م)، ثم سيطر على سلا وكان ذلك في سنة (647هـ/ 1249م)، ورباط الفتح سنة(649هـ/1259م).

دخل الأمير أبي بكر، في حرب مع الخليفة الموحدي أبي حفص الملقب بالمرتضي (646-665هـ/1248-1266م) ،فاستولى على بلاد تادلا وسجلماسة ودرعة التي سقطت في قبضتهم في سنة (655هـ/1257م)[3] ،وتوفي الأمير أبي بكر يحي بن عبد الحق يوم الخميس من جمادى الآخرة سنة (656هـ/1258م)، وخلفه عمه الأمير يعقوب الذي قام هذا الأخير بعدة واجبات عزّزت موقفه في حكم الموحدين بالمغرب [4].

واجه الأمير يعقوب المريني الذي كان يطمح للإستيلاء على مراكش أبو دبوس في وادي تلاغ سنة (666هـ/1267م)، وأشتبكت القوتان وكانت من نتائج المعركة مقتل ابن دبوس آخر الخلفاء الموحدين[5] يوم الأحد الثاني من محرم من سنة 667هـ/1268م، فدخل الأمير يعقوب مراكش في شهر محرم من سنة (668هـ/1269م)، وبذلك إنتهت الدولة الموحدية بالمغرب كما إنتهت بالأندلس[6]، وبهذا يعد

---

[1]- مدينة مغربية وهي مكناس الزيتون من مدن المغرب وتقع جنوب مدينة فاس ، وقد وصفت بإسم جدهم مكناس . الأدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أدريس): المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق ونقل من الفرنسية محمد حاج صادق دط، باريس، 1983م، ص 196 .

[2]- محمد كمال شبانة، مدينة مكناس المغربية عبر التاريخ الوسيط، مجلة الدارة، العدد3، سنة 13، الرباط، 1987م، ص ص 160-170.

[3]- نضال مؤيد مال الله، المرجع السابق، ص 11 .

[4]- المرجع نفسه، ص 12 .

[5] - أنظر: الملحق رقم 07، ص 88.

[6]- ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص ص 304-307 .

السلطان يعقوب الذي دخل مراكش المؤسس الحقيقي للدولة المرينية[1]، والذي إتخذ من مدينة فاس عاصمة له[2].

[1]- محمد بن مظفر بن الوردي : تتمة المختصر في أخبار البشر، ج1، دط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1998 ص 317 ؛ أنظر، شكيب أرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، تحقيق: محمد المهدي حبابي، دط، المكتبة التجارية المطبعة الرحمانية ،فاس المغرب، 1936م ،ص303.

[2]- محمد بن محمد بن عبد الله المبارك الفتحي المراكشي : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، ط2، مطبعة دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء المغرب، د ت، ص9 .

خاتمة

خاتمة:

من خلال مُعالجتنا لموضوع "معركة حِصن العُقاب دراسة في أسباب الهزيمة والتداعيات" نكون قد توصلنا إلى جُملة من النتائج التي حاولنا تقديمها على شكل النقاط الآتية:

تَميز الوضع السياسي في بلاد المغرب خلال القرن (6 هـ/12 م) بعدم الإستقرار في الدولة الموحدية، وذلك لجملة من الأسباب تمثلت في حروب كبرى نتيجة لظُهور ثورات كثيرة شملت تقريبا كل بلاد المغرب، من المغرب الأدنى مُرورا بالأوسط إلى المغرب الأقصى ومن أبرز هذه الثورات ثورة الميورقي بإفريقية وثورة أبي قَصبة ببلاد السوس، لقد كان لهذه الثورات وما نجم عنها من حروب وعدم الإستقرار تأثيرا سلبيا على الوضع السياسي في بلاد المغرب .

إن علاقات الدولة الموحدية بالممالك الإسبانية النصرانية طُبعت عموما بالعداء فقد كانت علاقة حرب وصراع أكثر من أي أمر آخر، فكانت هذه الفترة مليئة بالحروب تخللتها فترات من السلم إقتضتها مصلحة تلك الدول، فكثيراً ما كانت بعضها تجنح للسلم حينما تحس بإنهاك أو إستنزاف طاقتها وقدرتها العسكرية والإقتصادية على غرار ما كان يحدث بين مملكة قشتالة والدولة الموحدية .

مِن أخطر الحركات السياسية التي ظهرت ببلاد المغرب حركة بني غانية في الجزائر الشرقية الذين حاولوا إستعادة أمجاد الدولة المرابطية، حيث جمعوا فلولهم وساعدهم في ذلك الكثير من الأعراب الذين تغلبوا على نواحي إفريقية ودخلوا في حروب طاحنة مع الموحدين إمتدت إلى عهد قريب من سُقوط الدولة وكانت عاملا أساسياً في إضعاف الدولة ومن ثم إسقاطها.

النشاط الكبير للممالك الإسبانية النصرانية منذ بداية القرن (7هـ/13م) واتفاق كلمتهم عند مواجهة المسلمين في الأندلس هذا مع ما كان بين هذه الممالك من شقاق وخلاف سياسي عميق .

شَكّلت هزيمة الموحدين في موقعة العُقاب بداية النهاية للأندلس، بحيث مثّلت نقطة تحول نهائية وأخيرة في الصراع الإسلامي النصراني في الأندلس حيث مالت كفّة القوة إلى جانب الإسبان النصارى لِما أسفرته هذه الهزيمة على أفدح وأشنع الآثار التي يمكن تصورها سواء بالنسبة إلى الأندلس أو المغرب أو الدولة الموحدية حيث قضت على سمعة الموحدين العسكرية في شبه الجزيرة وتَضعضع سلطان الموحدين بالأندلس وأخذت الأندلس منذ ذلك الحِين تنحدر إلى حالة الفوضى والصراعات

الطاحنة، وأدى الوضع السياسي الهشّ في الأندلس في ظِلّ خلافة الموحدين المترنّحة إلى ظُهور حرب زعامات جديدة على أرض الأندلس مطابقة لفترة حُكم الطوائف الضِعاف .

إنَّ الهزيمةُ التي مُني بها الموحدون في العُقاب وانكسار أكبر وأعتَى جيش إسلامي في ذلك الوقت الذي كان يفوق الجيش النصراني عددًا وعُدّة لم يكن بسبب قوة جيش العدو فَحسب بل تضافرت عوامل وأسباب عِدّة قلبت كفّة القوة لصالح الجيش النصراني ولعلّ تعرُّض الجيش الموحدي لحالة من الإرهاق البدني والنفسي معًا نتيجة لخوض الموحدون حروب ومعارك عديدة في ظِل وجود قيادة عسكرية مترنحة إرتكبت أخطاء عسكرية جَسيمة قبل خوض معركة العُقاب .

كانت الهزيمةُ في العُقاب كارثة على الدولة الموحدية إذ أفقدتها التوازن العسكري مع الممالك الإسبانية النصرانية وأدخلتها مُباشرة في عصر الضُعف والتدهور، في حِين أدى الإنتصار الكبير للنصارى في العُقاب إلى تفوقها السياسي والعسكري في شبه الجزيرة وفتح الباب واسعاً لغزو الإسترداد النصراني المنُظَّم والذي إستمر مُنذ ذلك الحين بانتزاع القواعد الأندلسية بصورة متتابعة، وفي فترات قصيرة سقطت كُبريات الحواضِر الأندلسية بيد النصارى أمام عجز المسلمين في رَدّ عدوانهم .

إن الدافع الصليبي كان ظاهراً في الحروب التي خاضتها الممالك الإسبانية النصرانية ضد الموحدين حيث أن دعوات البابا وتدخلاته المتكررة والمتعددة لدليل صريح على ذلك .

وتُعدّ الحملات الصليبية التي واجهتها الأندلس إمتدادا للحملات التي واجهت المشرق الإسلامي مُنذ القرن الحادي عشر للميلاد، إن هذه الحملات إستهدفت إنهاء الوجود الإسلامي في الشرق وفي الغرب على حَدٍّ السَّواء وهي كمثيلاتُها في الشرق الإسلامي تَم أغلبها بمباركة البابا، مما يدل أن هذه الحملات كان يُخطط لها على مستوًا عَالٍ ولم تكن مجرد حملات إرتجالية، فقد عدّ الغرب الأوربي الكاثوليكي إسترداد الأراضي الأندلسية هدفاً مقدساً يُضاهي في قدسيته إسترداد القُدس، هذا ما دَفع صليبيّ أوربا أن يشتركوا في الحملات المتجهة للمشرق ثم يعودون للإشتراك في الحملات المتجهة نحو الأندلس.

مِن أبرز إنعكاسات الإنهزام في العُقاب هو سقوط الدولة الموحدية والذي مثّل أخطر حدث عرفه المغرب الإسلامي نظراً لما قدمته هذه الدولة من خدمات جليلة في الجانب الحضاري والأمني؛ فقد مثل هذا الحدث نهاية مأساوية لإحدى أهم وأكبر دُول المغرب الإسلامي وفتح الأبواب أمام تطورات سياسية وحضارية شَكّلت بداية لتاريخ مليء بالمآسي والأحزان.

هُجومات الممالك الإسبانية النصرانية كانت مركزة وموجهة بجميع أنحاء وأجزاء الأندلس في ظِل ملوكها الذين اتصفوا بالحكمة والحنكة وطول بقائهم في الحكم وهو ما يعكس إستقرار الوضع السياسي وتوابعه .

تُعد كلّا من مملكة قشتالة وأراغون أشدّ الممالك الإسبانية النصرانية تصميما على إحتلال أراضي المسلمين وقتلهم أو تدجِينهم أو طردهم وهذا في ظِل معاونة أوربا عموما والكنيسة على وجه الخصوص وذلك من خلال إعلان الحروب الصليبية.

لَقد قاوم المسلمون في الأندلس الحملات الصليبية وكان للدولة الموحدية دورًا كبيرًا في ذلك لاسيما في عصر قوتها، فكان جهادهم عاملاً مساعدًا في إيقاف هذه الحَملات وتحييدها إلّا أن هزيمة العُقاب المروعة وضُعف بعض خُلفاء الموحدين كان له الأثر البالغ في زيادة شراسة الحملات الصليبية ضِد الأندلس التي إنتهت بسقوط الدولة الموحدية ولم تأتي قوة إسلامية بعد نهاية الموحدين تستطيع أن تقف ضّد الحملات الصليبية التي إزدادت شراستها كثيرا أدت بالنتيجة إلى إختصار الأندلس في حدود مملكة غَرناطة أو الأندلس الصُغرى التي بقت قائمة حتى زَوال الوجود الإسلامي في الأندلس سنة 897 هـ/ 1492 م.

وفي الأخير نسأل الله العليّ القدير أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذا البحث .

قائمة الملاحق

الملحق رقم(01) : خريطة تبين الدولة الموحدية في أوج اتساعها[1].



[1]- عمر راكة : علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف الأستاذ، بودواية مبحوت، قسم التاريخ، جامعة تلمسان،2010م-2011م، ص 124.

الملحق رقم(02) : خريطة توضح الصراع بين الموحدين وبنو غانية[1]



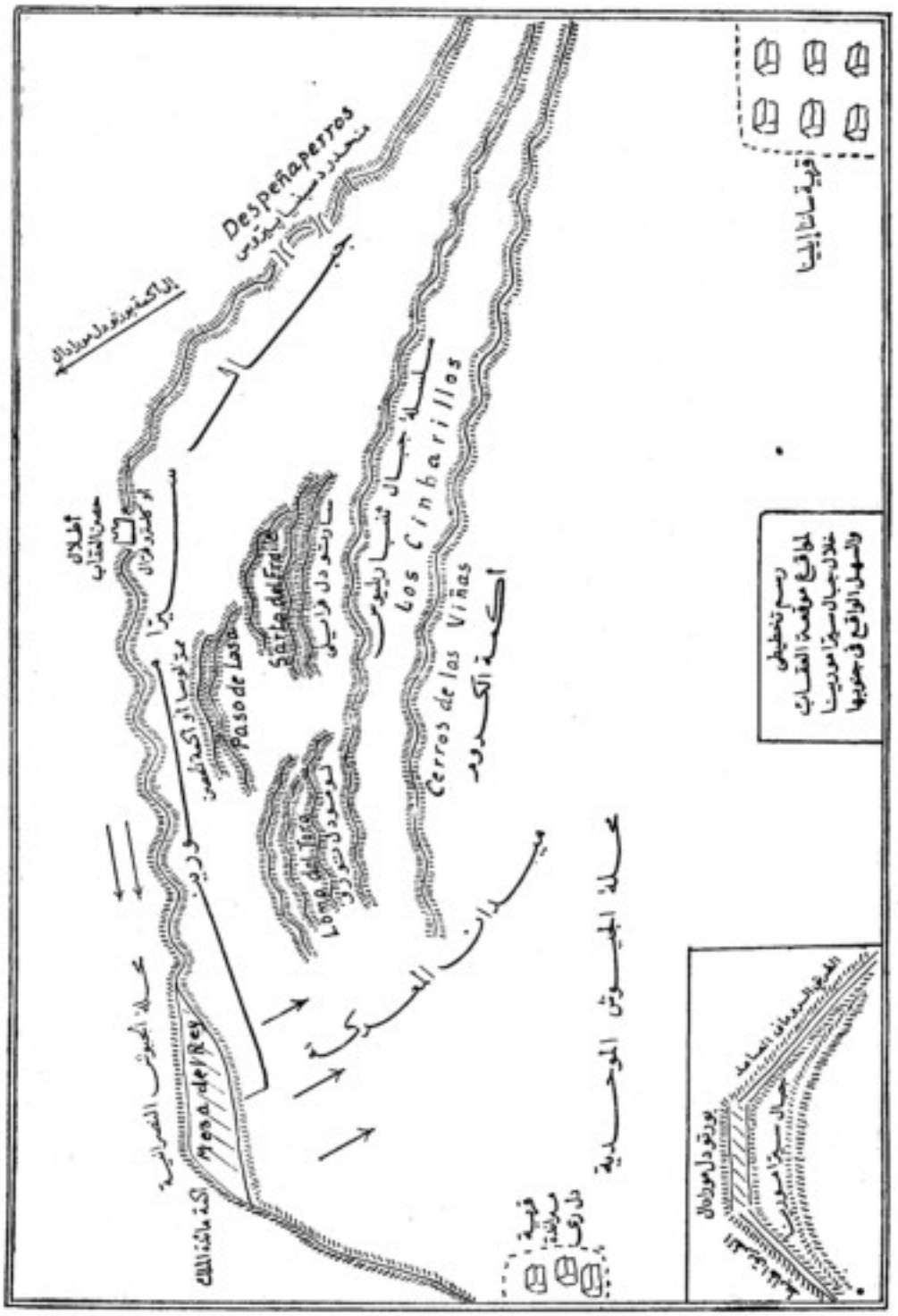
[1]- عمر راكة : المرجع السابق، ص127.

الملحق رقم(03) : خريطة تبين سير خط سير الجيش الموحدي والنصراني الى حصن العقاب[1]



[1]– شوقي ابو خليل : المرجع السابق ، ص 103.

الملحق رقم(04) : رسم تخطيطي يوضح مواقع معركة العقاب[1]



[1]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ع3، ق2، ص309.

الملحق رقم (05) : جدول يبين تاريخ سقوط أهم المدن و الحواضر الأندلسية [1]

الترتيب	اسم المدينة	تاريخ السقوط
01	ميورقة	627 هـ/ 1230 م
02	يابسة	632 هـ/ 1236 م
03	قرطبة	633 هـ/ 1236 م
04	بلنسية	636 هـ / 1238 م
05	دانية	641 هـ / 1244 م
06	شاطبة	644 هـ / 1246 م
07	لقنت	644 هـ / 1246-1247 م
08	إشبيلية	646 هـ / 1248 م
09	مرسية	646 هـ /1266 م
10	منورقة	686 هـ / 1287 م

[1]- سيدي محمد عمارة : المرجع السابق، ص ص 43 – 58.

الملحق رقم (06) : خريطة توضح تفكك الدولة الموحدية في المغرب وقيام ثلاث دويلات مكانها[1]



[1]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ع3، ق2، ص 569.

الملحق رقم (07) : قائمة خلفاء الدولة الموحدية[1]

الترتيب	اسم الخليفة	فترة الحكم
01	عبد المؤمن بن علي الكومي	1133-1163م
02	أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن	1163-1184م
03	أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور	1184-1199م
04	أبو محمد عبد الله الناصر	1199-1213م
05	أبو يعقوب يوسف المستنصر	1213-1224م
06	عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن	1224-1224م
07	أبو عبد الله بن يعقوب المنصور	1224-1227م
08	يحي بن الناصر	1227-1230م
09	المأمون بن المنصور	1227-1232م
10	الرشيد بن المأمون بن المنصور	1232-1242م
11	السعيد علي أبو الحسن	1242-1248م
12	أبو حفص عمر المرتضى	1248-1266م
13	أبو دبوس الواثق بالله	1266-1269م

[1]- عمر راكة : المرجع السابق، ص128.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم رواية حفص .

أولا : المصادر :

-محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر،ط1، دار طوق النجاة،1422هـ.

01- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت 658م) :

- الحلة السيراء، تحقيق، حسين مؤنس ،ط2 ، دار المعارف، لبنان.

- التكملة لكتاب الصلة ،تحقيق : عبد السلام الهراس، دط، بيروت لبنان، دار الفكر للطباعة 1415هـ.

03- ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن الجزري) : الكامل في التاريخ، دط ،دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1966م.

04- ابن الأحمر ابو الوليد إسماعيل (ت 810 هـ/1407 م) :

- روضة النسرين في دولة بني مرين، دط، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، دت .

-النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، تحقيق : عنان محمد آل طعمة ، دط ،دار أسعد الدين مطبعة الشام، دمشق، 1992م.

06- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أدريس): المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق ونقل من الفرنسية محمد حاج صادق، دط، باريس، 1983م.

07- أرسلان شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية، تحقيق: محمد المهدي حبابي دط ،المكتبة التجارية المطبعة الرحمانية ،فاس المغرب، 1936م .

08- البيدق (أبو بكر الصنهاجي ت55 هـ/1160 م) : أخبار المهدي و ابتداء دولة الموحدين، نشر ليفي بروفنسال، دط، باريس، 1928م .

09- التيجاني :رحلة التيجاني ، دط ،المطبعة الرسمية، تونس، 1958م.

10- الحموي ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت626م) : معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1415هـ.

11- الحميري(أبو عبد الله محمد ابن عبد المنعم الصنهاجي ت 727هـ/1327م): الروض المعطار في خبر الأقطار، منتخبة من صفة جزيرة الأندلس، ط2، دار الخليل، لبنان، 1988م.

12- ابن خرداذبة (ابو القاسم ابن عبيد): المسالك و الممالك ،مطبعة بريل، ليدن، 1889م.

13- ابن الخطيب (لسان الدين السلماني الغرناطي ت 658هـ):

- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ،ط2، القاهرة ،1973م.

-كناسة الدكان بعد انتقال السّكان، تحقيق: محمد كمال شبانة، د.ط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ،د.ت.

- اللمحة البدرية في الدولة النصرية ،ط2 ، دار الأفاق الجديد، بيروت لبنان، 1978 م.

16- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ت 808هـ) :كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992م.

17- ابن ابي دينار(أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني) : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ،تحقيق: محمد شمام، دط، تونس، 1967/1387م.

18- الذهبي (شمس الدين محمد بن احمد عثمان الذهبي ت 748هـ/1374م) : سير أعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، ط1، بيروت، لبنان، 1405هـ/1984م.

19- ابن ابي زرع (أبو الحسن علي الفاسي حي سنة 726هـ/1326 م) : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، تحقيق: الفيلالي، دط، دت.

20- الزركشي (محمد ابن إبراهيم بن اللؤلؤ) :ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966هـ

21- ابن الساعي : الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق: مصطفى جواد، دط المطبعة الكاثوليكية، بغداد، العراق، 1934/1353م .

22- جلال الدين السيوطي :كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، تحقيق : عبد اللطيف السعداني دط، وزارة الثقافة، الرباط المغرب، 1971م.

23- ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي حي سنة 594هـ/1198م) : تاريخ المن بالإمامة، تحقيق : التازي، ط1، بيروت، دت .

24- الضبي (أحمد بن يحي بن احمد بن عميرة ت599هـ) : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دط، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967م.

25- ابن عذارى المراكشي (أبو العباس احمد بن محمد المراكشي حي سنة 712هـ/1312م) : البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406هـ /1985م .

26- فتحي المراكشي محمد بن محمد بن عبد الله المبارك : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، ط2، مطبعة دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء المغرب، د ت.

27- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الانشا، دط، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، مصر، 1963م .

28- المالقي الأندلسي حسن بن عبد الله: تاريخ قضاة الأندلس، وسماه كتاب المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت لبنان، 1405 هـ/1983م.

29- مقري (أحمد بن محمد ت 1041هـ) : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : إحسان عباس، بيروت، 1968م.

30- ملزوزي أبو فارس عبد الواحد بن عبد العزيز (667هـ/1297م) : نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، دط، الرباط، المطبعة الملكية، 1963م.

31- عبد الواحد المراكشي (أبو محمد بن علي التميمي ت 647هـ/1249م) :

- وثائق المرابطين و الموحدين ، تحقيق: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد مصر، 1997م.

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق : محمد سعيد العريان، دط ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، دت.

33- ابن الوردي محمد بن مظفر: تتمة المختصر في أخبار البشر، دط، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1998م.

34- الوزان (حسن بن محمد الفاسي) : وصف إفريقيا، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م.

35 - اليافعي (أبي محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان ت768هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق : خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان. دت.

36- مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق :سهيل زكار وعبد القادر زمامة ،دط ،دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، 1979م.

ثانيا – المراجع :

36- أحمد أبو الفضل محمد: شرق الأندلس في العصر الإسلامي (516-686هـ/1121-1287م)،دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دط، دار الجامعة الإسكندرية، مصر، 1996م.

37- الأشتر صالح: معركة الأرك 591هـ/1195م، دط، دار الشروق العربي، بيروت، 1998م.

38- بسالم عصام سالم: جزر الأندلس المنسية التاريخ الاسلامي لجزر البليار، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م.

39- البستاني بطرس : معارك العرب في الأندلس، دط، مؤسسة هينداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 م .

40- الجمباز محمد منير: معارك إسلامية خالدة من بدر حتى خروزني، ط2، مكتبة التوبة، الرياض السعودية، 2000/1428 م .

41- حركات إبراهيم : المغرب عبر التاريخ، دط، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م.

42- حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس، ط1، دار العلوم، مصر، 1980م.

43- أبو خليل الجمل شوقي : العقاب بقيادة أبو عبد الله الناصر ، دار الفكر، بيروت، دت.

44-أبو رميلة هشام: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1 عمان ، الأردن، 1984م

45- زيبب نجيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم ، بيروت لبنان، 1410 هـ/1990 م .

46- الزركلي خير الدين: الأعلام، ط15 ،دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ماي 2002م.

47- سالم السيد عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، دط، الإسكندرية، مصر، 2012م.

48- السرجاني راغب : قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة 1432هـ/2011م .

49- السلاوي (أحمد بن خالد الناصري ت 1315هـ/1897م) : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دط، الدار البيضاء، 1945م.

50- شاكر مصطفى : الأندلس في التاريخ، دط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1990 م.

51- الصلابي علي محمد محمد: صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، دط، عمان الأردن، 1998 م.

52- عاشور سعيد عبد الفتاح : تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دط، دارالنهضة العربية، بيروت 1976م.

53- العبادي أحمد مختار: صورة من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس, ط1، الإسكندرية 2000م.

54- علي حجي عبد الرحمان: التاريخ الأندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة، دار القلم، ط2 بيروت،1981 م.

55- عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، ط2، القاهرة، 1411هـ/1990م .

56- الغناي مراجع عقيلة، سقوط دولة الموحدين، ط2، منشورات قاريونس، بنغازي ليبيا، 2008م.

57- مزاري عبد الصمد توفيق: التنظيمات العسكرية المغربية في عهدي المرابطين والموحدين، دط منشورات دار الثقافة حسن الحسني، المدية، الجزائر، 2009 م .

58- المغراوي محمد : الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، جذور للنشر، الرباط المغرب، دت

59- مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط8، دار الرشاد، مصر، 1426هـ/2005م.

ثالثا :المراجع المعربة:

60- أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، ترجمة : محمد عبد الله عنان، ط2 القاهرة،1417هـ/1996م.

61- بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1996م.

62- بولم دنيز: الحضارات الافريقية، ترجمة نسيم نصر، دط، بيروت، منشورات عويدات، 1984 م.

رابعا : الرسائل و الأطروحات:

01- أحمد عبد الله حسن عامر: دولة بني مرين، تاريخها وسياساتها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668-869هـ/1269-1465م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف عدنان ملحم، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 1424هـ/2003م.

02- الأعرجي نضال مؤيد مال الله عزيز: الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685-706هـ/1286-1306م، دراسة سياسية حضارية، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف عبد الواحد دنون طه، جامعة الموصل العراق، صفر1425هـ/نيسان2003م.

03- بولعراس خميسي : فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين و الموحدين، رسالة لنيل درجة دكتوراه، إشراف،كمال بن مارس، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2013-2014م.

04- راكة عمر : علاقات الدولة الموحدية بالإمارات السلامية و الممالك المسيحية في الأندلس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف بودواية مبخوت، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2010م-2011م.

04- سيدي محمد عمارة : هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7هـ/13م) ودورهم الثقافي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف محمد بن معمر جامعة وهران السانيا، 1433-1434هـ/2012-2013م.

05- صديقي عبد الجبار : سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات ،رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف الدكتور مكيوي محمد، قسم التاريخ ،جامعة تلمسان، 2013- 2014م .

رابعا : الموسوعات، المجلات و الدوريات.

01- متحله الغنيمي عبد الفتاح: موسوعة المغرب العربي، ط1، مكتبة مدبولي، 1414هـ/1994م.

02- البشيري ساعد بن عبد الله :جماعات الفرسان الدينية الإسبانية، مجلة أم القرى، العدد 7 السعودية، 1992م.

03- شبانة محمد كمال، مدينة مكناس المغربية عبر التاريخ الوسيط، مجلة الدارة، العدد3، الرباط 1987م.

04- جلبي خالص : معركة العقاب، مقال في صحيفة الشرق المطبوعة، العدد 21 ، 2011/12/25م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	أ–ز
المدخل.....	**10–23**
قيام دولة الموحدين.....	10
أبرز سلاطين الدولة الموحدين.....	11
عبد المؤمن والتأسيس لدولة الموحدين.....	12-11
عهد يوسف ابن عبد المؤمن.....	13-12
أبو يوسف يعقوب المنصور والعصر الذهبي للدولة الموحدية.....	22-13
عهد محمد الناصر.....	23
المبحث الأول : مجريات معركة العقاب(609هـ–1212م).....	**25– 48**
أولا : ظروف معركة العقاب.....	25-34
الظروف السائدة في الأندلس و المغرب.....	25
الإنتصار الكبير في معركة الأرك.....	26-25
معاهدة المنصور للقشتاليين.....	26
أخذ البيعة لولده محمد الناصر.....	26

وفاة المنصور..... 27-26

العقبات التي واجهت الخليفة الناصر..... 27

الثورات التي ظهرت في الدولة الموحدية..... 27

ثورة ابن عبد الرجراجي..... 28-27

ثورة الميورقي..... 29-28

ثورة عبد الرحيم ابن عبد الرحمان..... 30

فتح ميورقة..... 31-30

أوضاع الممالك النصرانية بالأندلس..... 32-31

ثانيا- أسباب المعركة..... 34-33

ثالثا- حشد القوات و سيرها إلى المعركة..... 42-34

الجيوش الموحدية..... 38-34

الجيوش النصرانية..... 42-38

رابعا- وقائع المعركة..... 45-42

خامسا- نتائج المعركة..... 48-45

المبحث الثاني: دراسة في أسباب هزيمة الموحدين في المعركة..... 59-50

أولا- العوامل التي أدت إلى ضعف الجيش الموحدي..... 53-50

الجوائح الطبيعية..... 51-50

الأزمات السياسية..... 53-51

ثانيا- نظرة في الجيشين (قوة-ضعف)..... 59-53

الجيش النصراني..... 56-53

الجيش الموحدي..... 59-56

المبحث الثالث: تداعيات هزيمة الموحدين في العقاب على الأندلس والمغرب. 71-61

أولا- تداعياتها على بلاد الأندلس..... 71-61

نهاية نفوذو سلطة الموحدين بالأندلس..... 62-61

حركة ابن هود..... 63-62

حركة ابن مردنيش..... 64

حركة ابن الأحمر..... 64

تسارع حركة الإسترداد وسقوط كبريات المدن والحواضر الأندلسية..... 65-64

سقوط البلاد الإسلامية في شرق الأندلس..... 65

جزر البليار (الجزائر الشرقية)..... 66-65

بلنسية..... 68-66

وسط وغرب الأندلس..... **71-68**

سقوط قرطبة..... 69-68

سقوط إشبيلية..... 71-70

ثانيا- تداعيات المعركة على بلاد المغرب..... 76-71

بروز الثورات وحركات التمرد والنزعات الإستقلالية..... 72-71

سقوط الدولة الموحدية..... 76-72

خاتمة..... **80-78**

ملاحق..... **88-82**

قائمة المصادر و المراجع..... **95-90**

فهرس الموضوعات..... **-97**
100